تفريج الكروب في تدبير الحروب

تأليف

عمر بن إبراهيم الأوسى الأنصارى

تحقيق وترجمة

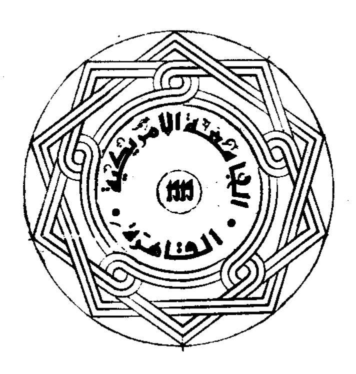
دكتور جورج سكانلون



منشورات الجامعة الأمريكية بالقاهرة

١٩٦١

١٩٦١



طبع على مطابع دار المعارف بمصر
٥ شارع ماسبيرو – بالقاهرة ج.ع.م.

مقدمة

يضم هذا الكتاب بحثًا عن الحرب بعنوان « **تفريج الكروب فى تدبير الحروب** » ؛ قمنا بتحقيقه وترجمته إلى الإنجليزية. ولا يعرف أصل له سوى مخطوطتين رجعنا إليهما عند تحقيقه وترجمته : إحداهما موجودة فى مسجد الفاتح باستانبول (تحت رقم ٣٤٨٣) ، والأخرى ضمن مجموعة « يهودا » فى جامعة پرينستون (رقم ٣٩٥٤ *ELS*) . ومن هذه الأخيرة عرفنا اسم المؤلف ، وهو عمر بن إبراهيم الأوسى الأنصارى . أما المخطوطة الأولى فعرفنا منها أن المؤلف قد وضع كتابه فى عهد السلطان المماوكى فرج بن برقوق الذى حكم فى الفترة من عام ٨٠١ إلى عام ٨١٤ هجرية / ١٣٩٩ — ١٤١١ ميلادية . ولم تكتشف بعد أية معلومات دقيقة عن هذا المؤلف .

وقد ذيلنا النص العربى الوارد فى الصفحات التالية ببعض الحواشى المتصلة بالنصّ نفسه ، واستعملنا حرف « ى » للكناية عن مخطوطة پرينستون ، وحرف « ف » للكناية عن مخطوطة مسجد الفاتح . أما الترجمة الإنجليزية فقد ذيلناها بالمراجع والشروح والتفسيرات ، كما أضفنا فى نهايتها قائمة بالمصطلحات العسكرية الحربية الواردة فى النصّ مع شىء من التوسع . ويجد القارئ هذه القائمة بين النصّ العربى والترجمة الإنجليزية .

وقد مهدنا للترجمة الإنجليزية بمقدمة مطولة تناولنا فيها ما كتب عن الحروب الإسلامية ، وأوردنا بياناً بالمخطوطات العربية الأصلية التى ما زالت فى حاجة إلى التحليل لإمكان تقدير الموضوع حق قدره . كذلك يتبين أن « تفريج الكروب » يتفق والفلسفة العامة للحرب فى الشرق خلال فترة الحروب الصليبية والفترة التى تلتها مباشرة .

جورج سكانلون

القاهرة

يناير ١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

مؤيد الإسلام من سلطانه الناصر بعزيز نصره ، ومرغم أنف الخارج عن طاعته بتعجيل هلاكه ورد كيده فى نحره ، ومريه من مصارع أعدائه ما يتعظ به العاقل ويعده المتأمل من عجايب دهره ، ومسعد جده العالى بإبادة أعدائه الطغاة المارقين والله غالب على أمره ، على أن أخرج الأمة من ضيق إلى فرج ، ورفع عن الرعية بأرفق سلطان كل مشقة وحرج ، وأطلب قلوب البرية بأسعد مليك يستنشق من طيب أيامه الزاهرة أطيب شذاً وأعبق أرج .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يتوارثها عظماء الملوك كابراً عن كابر ، ويوصى بها على الدوام أبداً الأول منهم الآخر ، ويقوم بنصرتها الابن بعد الأب فيرويها بالسند الناصر عن الظاهر . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المخصوص بالتأييد عن تتابع الدهر ، والمنصور بالرعب المؤثر فى قلوب أهل الكفر على مسيرة شهر ، صلى الله عليه وعلى آله الذين

---

(١) هذه المقدمة ناقصة فى ى حيث تبتدئ المخطوطة بالمقدمة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

وبعد ، هذا كتاب يسمى بتفريج الكروب فى تدبير الحروب ، مرتباً على عشرين باباً ، فى كل باب من ذلك ثلاثة فصول فى تدبير الحروب ، ومعرفة أحوال القتال وتقريرها ، تأليف العبد الفقير إلى الله (تع) عمر بن إبراهيم الأوسى الأنصارى رحمه الله (تع) . »

فى هذا النص بدل « ثلاثة » ذكرت كلمة « ثلاث » .

أنجزت وقائعهم للأعداء مواعد الأجل ، وكرعت فى دماء الكفر سيوفهم فعادت بخلوق النصر لا بحمرة الحجل ، صلاة يطلع فى مطالع النجوم نجومها ، ولا يتغير على ممر الزمان إن شاء الله تعالى رسمها ، وسلم تسليما كثيراً .

وبعد ، فلما كان السلطان الأعظم الملك الناصر ، العالم المجاهد المرابط المتاغر [٢] ، المؤيد المظفر المنصور ، زين الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، محيي العدل فى العالمين ، وارث ملك ملوك العرب والعجم والترك ، ظل الله فى أرضه ، القائم بسنته وفرضه ، إسكندر الزمان ، ملك أصحاب الأسرة والتيجان ، واهب الأقاليم والأمصار ، مبيد الطغاة والبغاة والكفار ، حامى الحرمين ، حائز القبلتين ، جامع كلمة الإيمان ، ناشر لواء العدل والإحسان ، سيد ملوك الزمان ، إمام المتقين ، قسيم أمير المؤمنين ، أبو السعادات فرج بن السلطان الشهيد الملك الظاهر أبى سعيد برقوق ، خلد الله تعالى على مدى الأيام سلطانه ، ونصر على توالى الدهور جنوده وجيوشه وأعوانه .

هو الذى قهر ملوك الأرض بأسه وشدته ، وأعجز الحصر والوصف عدده وعدته ، وشاع فى الآفاق النائية صيته وذكره وسمعته ، وحفه النصر من كل جانب فتوالى بتوالى الوقائع ظفره ونصرته ؛ ما قصده قاصد بسوء إلا رد خائباً ، ولا رماه أحد بمكر إلا رجع سهم مكره عليه صائباً ، ولا رام تذليل صعب إلا أتى من تسهيله بالعجب العجيب ، ولا حاول معالجة فتح إلا تلى عليه لسان الظفر « نصر من الله وفتح قريب » (٦١ : ١٣) . فسعوده أبداً بالنصر تسعد ، وسهم سعادته فى كل زمان ينشد :

عساكر البغى قد أعيت مقارعه ... لناصر أعوزت فى كسره الحيل

كناطح صخـــرة يومـــاً ليفلقها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل [٣]

---

(٢) « متاعر » فى النص .   (٣) من ديوان الأعشى .

وكنت ممن نظر فى كتب التاريخ على اختلافها ، وتدبر وقائع الحروب منها على تباين أصنافها ، وما رتبه فى ذلك أهل التدبير من رؤسائها ، وما اقتضاه رأى كل من مشايخ الحرب وعلمائها ، وما أورده أفاضل الكتاب فى وصايا المقدمين على العساكر ، وما وقع لدهاة [٤] الحروب من حيلة محتال ومكر ماكر .

دعانى ذلك إلى أن أخدم خزانته الشريفة — عمرها الله تعالى بدوام ملكه وطول بقائه ، وعلو نجمه الزاهر وسطوع ضيائه — بكتاب أضعه فى تدبير الحروب وترتيبها ، ومعرفة أحوال القتال وتقديرها ، ليهتدى بذلك من يقف عليه من أمرائه الأنجاب وقواد عساكره ، ويقتدى منهم من لم يخبر طريق الحرب لحداثة سنه بخابره ، وإلا فهو ثبت الله قواعد دولته ، وجعل مصير أعدائه المارقين إلى قبضته ، قد عرك الحروب وخبرها ، وعرف بالتجارب والوقائع حالها وخبرها ، وخدمته السعود فأعقبته بكل واقعة ظفرا ، وصحبته الحظوظ فلم يفارقه النصر سفراً ولا حضراً ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

وقد سميته « تفريج الكروب فى تدبير الحروب » ، وجعلت مقاصده منحصرة فى عشرين باباً [٥] .

---

(٤) « لدهاة » فى النص .

(٥) ثم تتبع أسماء الأبواب والفصول فى ف .

الباب الأول

فى التحرز فى حال الأمن عند إقامة الملك فى دار ملكه

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : فى أخذ الحذر فى الجملة .

قال العلماء بأمور الحرب وتدبيرها : ينبغى أن يكون الملك فى حال الأمن وهو مقيم بدار ملكه فى غاية من الحذر والتحرز من العدو [فإنه إن تحرك عليه عدو كان على أهبة الكفاية ، وإن لم يتحرك عليه عدو لم يضره الاحتراز ؛ فإن الخلل قل أن يقع مع التحرز ، وإنما يقع مع التفريط والإهمال والاتكال على الفوت] [1] . وقد أمر الله تع بالحذر فقال تع : " يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً " (٤ : ٧١) . وقال تع : [جلت قدرته] [2] : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " (٨ : ٦٠) .

ويروى [3] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الحزم سوء الظن . ويحكى [4] عن عنترة الفوارس أنه سئل عن كثرة ظفره فى حروبه وعدم نيل عدوه منه ، فقال : ما كذبت على عدوى خبرا ، ولا بتّ منه إلا على حذر .

---

(١) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٢) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٣) ناقص فى ف .
(٤) ناقص فى ف .

وبالجملة فإنه يجب أن يكون سيئ الظن بعدوه بكل حال ، آخذاً حذره منه ، معظماً لأمره فى نفسه ، مستعداً له بما فوق قدره ؛ فإنه إذا أعد له ما هو أكبر [٥] منه ثم وجد أمره صغيراً [٦] لم يضره ذلك ، وإن وجده كبيراً كان قد أعد له ما يكافئه أو يزيد على مكافأته ، فيكون قد استظهر عليه فى التأهب . والنصر من عند الله تع .

وقد قيل إنه لا ينبغى أن يأمن عدوه وإن بعد عنه ، ولا يأخذ فى لقائه بالهوينا إذا قرب منه ، ولا يترك معاجلة لقائه حيث تحقق قصده إليه ؛ فإنه متى ترك ذلك فى وقته حتى فاته كان قد ضيع الحزم ، وإذا دخل على نفسه الخوف وعرض أمره للندم فإن الفرصة [قلما تعود] [٧] إذا ضيعت . والحزم أن يستعد للأمر قبل وقته ليجد ذلك عند الحاجة إليه .

[الفصل الثانى][٨] : فى التحرز باتخاذ الأسوار[٩] والخنادق على المدن والحصون ونصب المرايا بالأمكنة العالية للنظر .

أما [١٠] الأسوار والخنادق ، فإنه لم تزل الملوك فى كل زمن يحصنون المدن والحصون والقلاع بالأسوار العالية ، والخنادق الدائرة الممتلئة بالماء . ولا يخفى على ما فى ذلك من عظيم النفع فى المدافعة عند الحصار إذا هجم العدو على المدينة أو الحصن بغتة . وقد[١١] ثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم احتفر خندقاً على المدينة النبوية يوم الأحزاب ، وأنه [كان صلى الله عليه وسلم][١٢] يعمل فيه بنفسه ، لولا ما فى ذلك من النفع الكامل لما فعله النبى صلعم .

---

(٥) « أكثر » فى ف .
(٦) « خطيراً » فى ف .
(٧) « ما تعود » فى ف .
(٨) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(٩) فوق السطر فى ف .
(١٠) ناقص فى ف .
(١١) ناقص فى ف .
(١٢) ما بين الحاصرتين مكتوب « صلى الله عليه وسلم كان» فى ف .

وقد شوهدت مدن وقلاع كثيرة نزلت عليها الجيوش العظيمة ، وحاصرتها الحصار الشديد فى الزمن الطويل ، ولم يظفروا منها بطائل . ولم تزل ملوك الجاهلية تهتم بذلك وتحتفل به غاية الاحتفال ، حتى يقال إن سور أنطاكية من بلاد الشمال(١٣) محيط بها وبقلعتها وداخله خمسة جبال(١٤) حتى لا تكون مشرفة عليها من خارجها يتسلط عليها العدو منها .

وقد(١٥) بنت دلوكة ، المعروفة بالعجوز(١٦) ، التى ملكت مصر بعد فرعون — لعنه الله — على الديار المصرية سوراً من الطوب اللبن ممتداً على جميعها من العريش إلى أسوان من الجانب الشرقى والجانب الغربى فى سفح الجبل ، جعلت فيه أبراجاً ومحارس على كل ثلاثة أميال ، وأقامت عليه حرسا(١٧) يسمع بعضهم بعضاً حتى إذا طرق جهة أحد منهم طارق تسامعوا به ، حتى ينتهى الخبر إلى قصر الملكة(١٨) ، فتتنبه لذلك فى أسرع وقت وأقربه . وأثر هذا السور باق إلى الآن فى الجبل الشرقى والجبل الغربى [يسمى بحائط العجوز](١٩) .

وقد كان سور القاهرة فى أول بنائها من الطوب اللبن ، وكان قصر الخلافة بوسطها مكان المدرسة الصالحية وما حولها ، ولم يكن السور المذكور حصيناً [لكونه فى وطأة من الأرض](٢٠) ، فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب — رحمه الله تع — الديار المصرية بنى قلعة الجبل على مكان مرتفع ، أدار سوراً من الحجر عليه وعلى القاهرة ومصر جميعاً . وآثار السور الأول(٢١) باق إلى الآن [بالقرب من الباب الحديد وغير ذلك](٢٢) .

---

(١٣) « الشام » فى ف .
(١٤) « أجبل » فى ف .
(١٥) ناقص فى ف
(١٦) ناقص فى ف .
(١٧) ناقص فى ف .
(١٨) « المملكة » فى ف .
(١٩) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(٢٠) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٢١) « أكثره » فى ى .
(٢٢) تحت السطر فى ى .

وأما نصب المرايا على الأماكن العالية للنظر[٢٣] فقد كان للملوك اهتمام به فى بلاد الثغور ، حتى أن الإسكندر لما بنى الإسكندرية جعل فيها مناراً طوله أربع[٢٤] مائة ذراع ، ونصب فى أعلاه مرآة من أخلاط إذا نظر فيها الإنسان رأى البلاد التى تقابلها من جزائر البحر وما يصنع فيها من عمارة المراكب وغيرها ، فيقع التأهب لهم ، إلى غير ذلك من أمور الملوك الماضية التى يقع بها الاحتراس [والله تعالى أعلم][٢٥] .

الفصل الثالث : فى استطلاع أخبار العدو واستعلامها ليقع التأهب له .

لا يشك[٢٦] فى أن استطلاع خبر العدو واستعلام أمره من أهم الأمور وأعودها نفعاً ؛ فإنه بذلك يعلم حال عدوه ، وما هو عليه من قصده إليه أو كفه عنه ، فيكون على علم من أمره . ثم لاستطلاع الأخبار واستعلامها عند طلب سرعة وصول الخبر أسباب :

أسرعها إيقاد النيران على رؤوس الجبال ؛ وهو أنه إذا حدث حادث فى طرف من أطراف المملكة من طروق عدو ونحو ذلك ، وكان هناك جبال عالية ، فإن كان فى الليل أوقدوا[٢٧] النار على رأس[٢٨] جبل عال ؛ وإن كان فى النهار أثاروا[٢٩] الدخان ، فيراهم من على رأس الجبل الذى يليه ، فيفعل[٣٠] كذلك حتى ينتهى إلى المكان الذى يقصد بالخبر . وقد كان أول الدولة التركية ، عند وقوع الحرب بين ملوك الديار المصرية وبين التتر ، أناس مرتبون على رؤوس الجبال ، مرصدون لذلك بمرتبات على السلطان ، مركزون[٣١]

---

(٢٣) ناقص فى ى .

(٢٤) ناقص فى ى .

(٢٥) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

(٢٦) « لاشك » فى ف .

(٢٧) « أوقدت » فى ى .

(٢٨) « روس » فى ى .

(٢٩) « أثر » فى ف .

(٣٠) « فيعمد » فى ف .

(٣١) ناقص فى ف .

من الفرات إلى غزة ؛ فإذا حدث حادث من جهة التتر ، أوقدوا النار ودخنوا ، فيتصل ذلك فى أسرع وقت من الفرات إلى غزة ، فيعلم أنه حادث حدث فى الجملة ، ثم يرسل الحمام من غزة إلى مصر فيعلم خبر ذلك فى اليوم الواحد . ثم بطل ذلك بوقوع الصلح بين التتر وملوك الديار المصرية وزالت معالمه .

ودون ذلك فى سرعة وصول الخبر الحمام [وهو أن ينتقل الحمام][٣٢] من كل بلد إلى بلد آخر ؛ فإذا حدث فى أحد البلدين التى فيها الحمام حادث ، كتبت[٣٣] البطايق ، وعلقت بأجنحة الحمام وأرسل[٣٤] فيطل برجه الذى فى بلده فيحضر فى أسرع وقت ، ولكن لا يسع معه استيفاء الخبر [على الطول][٣٥] وإنما يلوح فيه بالضرورى من الأمر ليقع إحاطة العلم به .

ولا يخفى أن الحمام من أسرع المواصلات ؛ فإن الحمام يقطع مسيرة عشرين يوماً فى بعض يوم . فقد حكى ابن سعيد فى كتابه « حيا المحل وجنى النحل » أن الوزير أبا[٣٦] الفرج يعقوب بن كلس ، وزير العزيز أحد خلفاء الفاطميين ، قال له العزيز : إنى لم أر القراصية البعلبكية قط ، وإنى أحب أن أراها . وكان عند الوزير حمام من دمشق ، وفى دمشق حمام من مصر ؛ فكتب الوزير بطاقة وأرسله فى الحمام الذى كان عنده إلى دمشق ، فأمرهم فيها ـ بأن يعلقوا فى كل طائر من الحمام المصرى الذى بدمشق حبات من القراصية البعلبكية ، فوصل الحمام إليهم بذلك ، فعلقوا القراصية فى الوقت بأجنحة الحمام ، ووجهوا بها إلى الديار المصرية ، فطلع بها الوزير [من وقتها إلى الخليفة فى يوم طلبه إياها][٣٧] فأعجب بذلك غاية الإعجاب . بل ربما زاد الحمام فى قطع المسافة عن هذا القدر .

---

(٣٢) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٣٣) « كتب » فى ف .
(٣٤) « أرسلت » فى ف .
(٣٥) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٣٦) « أبو » فى ف .
(٣٧) ما بين الحاصرتين « من يومه إلى الخليفة » فى ف .

فقد حكى صاحب « الروض المعطار فى خبر الأقطار » أن الحمام كان يرسل من مصر إلى البصرة ، وهى فوق بغداد فى الشرق ، مما يزيد على عشرين يوماً . وحكى ابن سعيد أيضاً[٣٨] فى كتابه « المغرب فى أخبار المغرب » أن الوزير اليازورى[٣٩] المغربى ، وزير المستنصر الفاطمى خليفة مصر ، وجه الحمام من مدينة[٤٠] تونس من أفريقية من بلاد المغرب ، فجاء إلى مصر [العهد عليهم فى جميع ذلك][٤١] .

وقد كانت أبراج الحمام بمملكة الديار المصرية فى الزمن المتقدم متصلة من قلعة الجبل ، ثم إلى قوص ، ثم إلى أسوان وعيذاب ، وإلى الإسكندرية ودمياط والسويس من طريق الحج ، وكذلك إلى دمشق وحلب وساير النيابات . وكان ذلك من النفع فى سرعة إيصال الخبر ما لا خفاء فيه على المتأمل .

ودون ذلك فى سرعة إيصال الخبر البريد ، وهو الذى يجىء بالكتب المطولة ، وبالأخبار المفصلة ؛ فإن البريد يقطع غالباً[٤٢] مسيرة عشرين يوماً فى ثلاثة أيام ، كما يقطع من دمشق إلى مصر فى هذا المقدار ، وربما زاد على ذلك. فقد قطع بعض البريدية من حلب إلى مصر فى أربعة أيام . وقد كان البريد موجوداً فى زمن الأكاسرة ملوك الفرس ، والقياصرة ملوك الروم ، واعتناء منهم لشأنه . ثم قرره فى الإسلام معاوية بن أبى سفيان أحد أصحاب النبى صلعم فى أيام خلافته ، وبقى بعد ذلك أيام خلفاء بنى العباس وخلفاء بنى أمية ، يستمر تارة وينقطع أخرى[٤٣] بحسب ما يقتضيه الحال . وكان المقرر له بغالا مقصوصة الأذناب ، ليكون ذلك علامة لها يعرف بها أنها من بغال البريد ، وتعاناه ملوك الإسلام فى أكثر الأقطار إلا بنى[٤٤] زنكى ملوك الشام ، وبنو أيوب ملوك مصر ؛ فإنهم أعدوا لذلك الهجن المنتخبة السابقة. وبقى الأمر على

(٣٨) ناقص فى ى .
(٣٩) « بازورى » فى ف .
(٤٠) « قونية » فى ى .
(٤١) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٤٢) « فى الغالب » فى ى .
(٤٣) « تعرفها » فى ف .
(٤٤) « بنو » فى ف .

ذلك إلى أن انقرضت دولتهم ، وجاءت الدولة التركية والأمر على ذلك .

فلما ولى الملك الظاهر بيبرس البندقدارى — رحمه الله — السلطنة ، واجتمع له ملك مصر والشام وحلب إلى الفرات ، وأراد تواصل أخبار المملكة إليه ، قرر البريد بالديار المصرية والبلاد الشامية . وقد كانت [مراكز البريد](٤٥) متصلة من القلعة المحروسة إلى الإسكندرية وإلى دمياط وإلى قوص ، ثم من قوص تركب(٤٦) الهجن إلى أسوان وعيذاب . وكانت المراكز متصلة من القلعة أيضاً إلىساير الممالك الشامية حتى تتصل بالفرات ، على ما هو مقرر(٤٧) معروف [مما لا حاجة لذكره هنا](٤٨) .

ودون ذلك فى السرعة السعاة ، وهم الذين يعدون على أرجلهم ، ويسافرون بالملطفات عند تعذر وصول البريد إلى ناحية من النواحى ، وهو من أعظم مهمات السلطنة وأكدها . وقد ذكر ابن الأثير فى تاريخه أن أول من اتخذ السعاة من الملوك معز الدولة ابن بويه ، أول ملوك الديلم ببغداد ، بعد الثلاثين والثلاث ماية من الهجرة . وكان سبب ذلك أنه كان ببغداد وأخوه ركن الدولة بأصفهان(٤٩) فأراد معز الدولة سرعة إعلام ركن الدولة بتجددات(٥٠) الأخبار ، فاتخذ السعاة . وانتشر فى أيامه ساعيان ، وبلغ من شأنهما أن كل واحد منهما كان(٥١) يسير فى كل يوم نيفاً وأربعين فرسخاً .

ودون ذلك فى السرعة العيون الجواسيس ، وهى أشد الجميع إبطاء بالخبر ، لما يحتاجون إليه من استطلاع الأخبار واستعلامها ، وتتبع آثارها. [وسيأتى الكلام عن ذلك](٥٢) فى الباب الثانى إن شاء الله تع .

---

(٤٥) ما بين الحاصرتين « مراكز بريدية » فى ف .
(٤٦) « يركب » فى ف .
(٤٧) « مقررة » فى ف .
(٤٨) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٤٩) « بأصبهان » فى ف .
(٥٠) « متجددات » فى ى .
(٥١) ناقص فى ف .
(٥٢) ما بين الحاصرتين « وسيأتى ذلك مستوفاً » فى ف .

الباب الثانى

فى العيون والجواسيس وما يتعلق بذلك

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : فى الصفة التى ينبغى أن يكون العيون والجواسيس عليها .

قد شرطوا فى الجاسوس شروطاً يتعين الحرص عليها ؛ منها أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه . فإنه يتوجه إلى العدو ، وإذا كان متهماً لا ينتفع بخبره ، وإن كان صادقاً لأنه ربما أخبر بالصدق فاتهم فيه فلا يعمل بقوله ، فتفوت [1] فيه النصيحة [2] بسبب ذلك . بل إن كان غير ناصح فإنه يعود بالضرر على مرسله ، لأنه يكون عيناً عليه لا له .

ومنها أن يكون ذا حدس صائب وفراسة تامة ، ليدرك بوفور عقله وصائب حدسه من أحوال العدو ، وبالمشاهدة ما كتمه العدو عن النطق به يستدل ببعض الأمور على بعض ؛ فإذا أخذ بالفراسة فى أمر ثم لاح له أمر آخر ، قوى عنده واعتقد [3] بانضمام بعض القراين إلى بعض .

ومنها أن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة ليتوصل بدهائه إلى كل [4] موصل ، ويدخل بحيلته فى كل مدخل ، ويدرك مقصده من أى طريق أمكنه ؛ فإنه متى كان قاصراً فى هذا الباب ربما ظفر العدو به ، أو عاد بغير مقصوده وطلبته [5] .

---

(١) « فيفوت » فى ف .
(٢) « المصلحة » فى ف .
(٣) « اعتضد » فى ف .
(٤) ناقص فى ف .
(٥) ناقص فى ف .

ومنها أن يكون له دربة بالأسفار ومعرفة بالبلاد التى يتوجه إليها ، فيكون غنياً عن السؤال عنها وعن أهلها . فإنه إذا سأل ربما تنبه له العدو وفطن به ، فيكون ذلك سبباً لهلاكه ، بل ربما عوقب ، فدل على حال مرسله ، فصار[٦] عيناً عليه بعد أن كان عيناً له .

ومنها أن يكون عارفاً بلسان أهل البلاد التى يتوجه إليها ، ليلتقط ما يقع من الكلام الذى يسمعه ممن يخالطه من العدو ، ومع ذلك لا يكون من جنس العدو ؛ فإن الجنس يميل إلى الجنس بالطبع ، فيفسد الأمر على من أرسله .

ومنها أن يكون صبوراً على ما لعله يصير إليه من العقوبة إذا ظفر به العدو ، حتى لا يخبر بأحوال مرسله ، ولا يطلع على وهن فيه وفى عسكره ؛ فإن ذلك قد لا يخلصه من يد[٧] عدوه ، ولا يدفع عنه سطوته .

فإذا وجد من العيون والجواسيس من[٨] هو مشتمل على هذه الشروط كان حقيقاً بالإرسال فى المهمات واستطلاع أخبار العدو .

الفصل الثانى : فيما يجب من إكرام العيون والجواسيس والأخذ بقلوبهم .

ينبغى على الملك وصاحب الجيش ، إذا اختار عيناً أو جاسوساً ، أن يظهر له الود والمصافاة[٩] ، ويتحفه بالإحسان ، ويعده بالمزيد ، ويتعاهده بالصلات فى كل وقت قبل احتياجه إليه ، ويزيد فى الإحسان إليه عند توجهه فى المهمات ، ويتعهد أهله بالبر فى حضوره[١٠] وغيبته . يملك بذلك قلبه ويستصفى[١١] خاطره ، ولا يخطر إلى انحطاط رتبته وصغر قدره ، إذا كان صغير المقدار ، فإن الأمر الذى هو فيه كبير .

---

(٦) « يكون » فى ف .
(٧) ناقص فى ف .
(٨) « ممن » فى ى .
(٩) « المصافات » فى ف .
(١٠) ناقص فى ى .
(١١) « يصفى » فى ف .

وإن قضى على من وجهه منهم إلى العدو بموت[١٢] ، وقبض العدو عليه ، أحسن على من خلفه من أهله ، وجعل لهم من بعده من الإحسان ما كان يجعله له إذا عاد ليكون داعياً لغيرهعلى النصيحة. وإن قدر أن أحداً منهم عاد غير ظافر بقصده ، وهو ممن يوثق بقوله[١٣] ، فلا يظهر له وحشة ولا يلومه على ذلك ، ولا يوبخه عليه ، بل يوليه الجميل ، ويعامله بالإحسان ؛ فإنه إذا لم يصعد له شئ فى هذه المرة صعد له فى المرة الأخرى .

الفصل الثالث : فيما يجب عليه من تدبير عيونه وجواسيسه .

على صاحب الجيش أن لا يعرّف أحداً من عسكره بأحد من جواسيسه ؛ فإن ذلك مما يؤدى إلى انتشار الخبر وظهوره ، بل إن استطاع أن لا يجعل بينه وبين أحد من جواسيسه واسطة فعل ، وإن لم يمكنه ذلك جعل لكل واحد منهم واحداً من خواصه يوصله إليه بمفرده .

وعليه أيضاً أن يحترز أن لا يعرف جواسيسه بعضهم بعضاً [فإنه إذا عرف بعضهم بعضاً][١٤] ربما اتفقوا على أمر[١٥] ورتبوه وأخبروه به إذا رجعوا ، وتوافقوا على ممالاة[١٦] العدو والميل إليه ، بخلاف ما إذا لم يعرف بعضهم بعضا ؛ فإن كل أحد منهم يأتى بخبر على حدته ، يظهر الصحيح منهم والسقيم بقراين الأحوال . وليس ممالاة[١٧] البعض للعدو كممالأة[١٨] الكل .

وعليه أن يصغى إلى كل ما يلقيه كل من جواسيسه وعيونه وإن اختلفت أخبارهم ، ويأخذ بالأحوط فيما يؤدى إليه[١٩] اجتهاده من ذلك . ولا يجعل اختلافهم ذنباً لأحد منهم ؛ فقد تختلف أخبارهم وكل منهم صادق فيما

---

(١٢) « يموت » فى ى .
(١٣) « به » فى ى .
(١٤) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(١٥) ناقص فى ف .
(١٦) « ممالات » فى ف .
(١٧) « ممالات » فى ف .
(١٨) « كممالات » فى ف .
(١٩) « يؤيده » فى ف .

بقوله ، لأن كل واحد منهم قد يرى خلاف ما يراه الآخر ، ويسمع غير ما يسمعه .

وإذا عثر على[٢٠] أحد من جواسيسه الثقات النصحاء بزلة سترها عليه ، ولم يعاقبه عليها ، ولم يوبخه إلا أن يرى فى التوبيخ مصلحة ، فإنه يوبخه[٢١] بخلوة ويعاتبه[٢٢] على ذلك عتباً لطيفاً ، فإن ذلك أدعى لاستصلاحه .

وإذا حضر إليه جاسوسه[٢٣] بخبر عن عدوه استعمل فيه التثبت[٢٤] ودوام البشر ، من غير أن يظهر لمن أتاه بالخبر سروراً بما قدم عليه من خبر عدوه ، ولا فرحة به بحيث يظهر معه الخفة ، ولا عراضاً يفوت قدر المناصحة . ولا يظهر لجاسوسه كراهة ما يأتيه به من الأخبار المكروهة ؛ فإن ذلك مما يستدعى كتمان السر عنه فى الأمور المكروهة ، فيؤدى إلى الأضرار . فقد حكى عن بعض الملوك أنه كان يعطى من يأتيه بالأخبار المكروهة أكثر من الذى يأتيه بالأخبار السارة ، ويقول : إن الذى يأتينى بالأمر المكروه قد ينبهنى[٢٥] على ما فيه مصلحتى .

واعلم أن صاحب الجيش لا يستطيع أن يمنع عسكره من جواسيس عدوه ، فيجب الاحتراز منهم بكتم السر ما أمكن .

---

(٢٠) ناقص فى ى .

(٢١) « فيوبخه » فى ى .

(٢٢) « يعتبه » فى ى .

(٢٣) « جاسوس » فى ى .

(٢٤) « التشبيت » فى ى .

(٢٥) « « قد تنبهنى » فى ف .

الباب الثالث

فى الرسل وما يتعين[1] أن يكونوا عليه من الصفات وما يستحق من خرج منهم عن جادة الطريق

وفيه فصلان

الفصل الأول : فى صفاتهم .

قد ذكر العلماء المتكلمون فى آداب الملوك أنه ينبغى أن يكون رسول الملك ذكى الفطنة [2] ، صحيح المزاج ، بصيراً بالأمور ، عارفاً بالأحوال ، عالماً بمواقع الكلام ؛ فقد [3] كان أزدشير بن بابك ، أحد ملوك الفرس ، يقول : كم من دم سفكه الرسول بغير حلة ، وكم جيوش هزمت بذلك وقتل أكثره ، وكم حرمة انهتكت ، ومال قد نهب ، وعهد [4] قد نقض بخيانة الرسل وأكاذيب ما يأتون به .

وقد شرطوا فى رسول الملك شروطاً منها : أن يكون صدوقاً قليل الطمع ؛ فقد حكى أن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك المشرق ، فجاء برسالة شك الإسكندر فى حرف منها ، فقال له الإسكندر : ويلك إن الملوك لا تخلو [5] من مقوم ومسدد إذا مالت [6] ، وقد جيتنى برسالة صحيحة الألفاظ بينة المعانى ، وقد وجدت فيها حرفاً يناقضها ، أفعلى يقين أنت من هذا الحرف

---

(١) « يتعينوا » فى ف .

(٢) « الفطرة » فى ى .

(٣) ناقص فى ف .

(٤) « عقد » فى ى .

(٥) « تخلوا » فى ى .

(٦) « قالت » فى ى .

أم أنت شاك فيه ؟ فقال الرسول : بل [٧] أنا على يقين منه أنه قاله . فأمر الإسكندر أن تكتب الألفاظ حرفاً حرفاً ، وتعاد إلى الملك مع رسول آخر فتقرأ عليه ، وترجم له . فلما قرئ الكتاب على الملك مرّ بذلك الحرف فأنكره ، وقال للمترجم : ضع يدى على هذا الحرف ووضعها فأمر بعلامة فوضعت عليه ، وكتب ذلك الملك إلى الإسكندر كتاباً يقول فيه إن من أس المملكة صدق لهجة الرسول إذا كان عن لسانه ينطق ، وإلى أذنه يؤدى .

فلما وصل الرسول إلى الإسكندر دعا رسوله الأول ، وقال : ما حملك على كلمة قصدت بها فساد مملكتى [٨] . فذكر أن ذلك وقع منه لتقصير من الملك فى حقه . فقال له الإسكندر : فأراك لنفسك قد سعيت لا لنا ، فلما فاتك ما أملت مما لا تستحقه على من أرسلت إليه جعلت ذلك ثأراً توقعه فى الأنفس الخطيرة [٩] الرفيعة . ثم أمر بلسانه فنزع من قفاه .

ومنها أن يكون جسوراً مقداماً ؛ فإنه متى كان جباناً امتنع عليه تأدية الأمور المكروهة إلى الملك الذى أرسل إليه[١٠] خوفاً منه ورهبة . ومن أحسن ما يحكى فى ذلك أن معاوية بن أبى سفيان ، أحد أصحاب النبى صلعم ، فى خلافته أرسل رسولا إلى ملك الروم ، وأعطاه دية رجلين على أنه إذا أدى الرسالة إلى الملك وفرغ من كلامه معه رفع صوته بالأذان بين يديه . فلما وصل إلى ملك الروم وأدى الرسالة رفع صوته بالأذان بين يديه ، فهم البطارقة بقتله ، فمنعهم الملك وقال : ليس هذا منه ، وإنما هو من معاوية ، فإنه أراد أن أقتل هذا الرسول فيقتل كل مستأمن فى بلاد الإسلام ، ويهدم كل كنيسة فيها . ثم إنه أكرمه وبعث به إلى معاوية فلما عاد [إلى معاوية ورآه][١١] ضحك ،

---

(٧) ناقص فى ى .

(٨) « ملكين » فى ف .

(٩) ناقص فى ى .

(١٠) ناقص فى ى .

(١١) ما بين الحاصرتين « وراه معاوية » فى ف .

فقص عليه الخبر ، وذكر له[١٢] ما قاله ملك الروم ، فقال : والله ما أردت إلا ما قال .

ومنها أن يكون عالماً بمواقع الخطاب والجواب ؛ أما الخطاب إذا كان عارفاً بمواقعه[١٣] أورد الكلام فى موقعه ، وقام بالحجة على من أرسل إليه ، كما روى أن النبى صلعم لما وجه دحية الكلبى — رضى الله عنه — إلى هرقل ملك الروم بالشام ، قال لهرقل : ناشدتك الله ، أتعلم أن المسيح كان يصلى ؟ قال : نعم . قال : فإنى أدعوك إلى من كان يصلى إليه المسيح ، فانظر إلى هذا الخطاب الملزم للخصم[١٤] الحجة ، لأن النصارى يعتقدون فى المسيح أنه الله . والإله لا يصلى لغيره ، وإنما يصلى العبد . فلما قرره بصلاة المسيح ، ألزمه من ذلك أن المسيح عليه السلام عبد الله تع .

وأما الجواب ، فإنه إن كان عارفاً بمواقعه فورد عليه سؤال ، أجاب عنه بما يقطع الخصم ويدفعه ، كما روى أن خاطب ابن أبى بلتعة — رضى الله عنه — بعثه النبى صلعم إلى المقوقس ملك مصر . سأله المقوقس عن حال النبى صلعم فى القتل ، وأنه هل يغلب قومه أو يغلبونه . فقال : الحرب بينه وبينهم سجال ، تارة له وتارة عليه. فقال له المقوقس : النبى يغلب. فقال له خاطب[١٥] : فالإله يصلب . فسكت المقوقس ، وذلك أن المقوقس أراد أن يقيم الحجة [على خاطب بن أبى بلتعة بأنه ربما يتغالب فى الحرب][١٦] والنبى لا يليق به ذلك فى زعمه ، فناقضه خاطب [بن أبى بلتعة][١٧] — رضى الله عنه — بأن النصارى يزعمون أن المسيح إله[١٨] ، ويقولون إن اليهود قتلوه وصلبوه ، وذلك [مما لا يليق

---

(١٢) ناقص فى ى.
(١٣) « مواقعه » فى ى .
(١٤) « يتحتم » فى ف .
(١٥) « الخاطب » فى ف .
(١٦) ما بين الحاصرتين « على خاطب بأنه ربما غلب فى الحرب » فى ف .
(١٧) ناقص فى ف .
(١٨) « الاه » فى ى .

بمقام الإله ، فلو كان إلهاً][19] كما يزعمون لما تسلط عليه اليهود بالقتل والصلب بزعمهم .

فإذا حصل رسول الملك على هذه الشروط وما فى معناها كان حقيقاً بأن يرسل بالمهمات ويمشى بالرسالة بين الملوك ، ومتى فات فيه شرط عن ذلك لا ينبغى أن يستعمل فى رسالة أصلا .

الفصل الثانى : فى تدبير أمر الرسل وما ينبغى أن يعتمد فى أمرهم .

قال المتكلمون فى آداب الملوك : على الملك أن يمتحن رسوله مدة طويلة قبل أن يوجهه فى رسالة ، ليعلم حقيقة حاله ، فيكون على يقين من أمره ، فيثق به فيما يرسله فيه . وكان من شأن ملوك الفرس فيما سلف ، إذا أرادوا إرسال شخص ، قدموا امتحانه بإرساله إلى بعض خواص الملك ممن هو فى قرار داره فى بعض المهمات ، ثم يجعل عليه عيناً فيما يرسله فيه من حيث لا يشعر ؛ فإذا أدى الرسول رسالته رجع بجوابها ، سأل الملك الذى أرسله فى أثره للكشف[20] عنه ، فإن طابق ما أتى به كلام الآخر صار عند الملك مميزاً لأن يكون رسولا له إلى الملوك .

وكان أزدشير بن بابك ، أحد ملوك الفرس ، يقول : على الملك الحازم ، إذا وجه رسولا إلى ملك ، أن[21] يرسل بآخر ، وإن وجه برسولين وجه بعدهما باثنين ، وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسله فى طريق فعل . ومن الحزم أن الرسول إذا أتاه برسالة أو كتاب فيه خبر أو سر وارتاب به أن لا يحدث فى ذلك

---

(١٩) ما بين الحاصرتين « مما لا يليق بالإله ولو كان إلها » فى ف .

(٢٠) « الكشف » فى ف .   (٢١) « بأن » فى ف .

شيئاً [حتى يرسل مع رسول آخر يحكى][٢٢] للمرسل إليه كتابه أو رسالته حرفاً حرفاً ومعنى معنى ؛ فإن الرسول ربما فاته بعض ما يوصله فافتعل الكتب وغير ما شوفيه به ، فحرض بذلك المرسل على المرسل إليه ، فأدى ذلك إلى فساد شديد ، كما تقدم فى حكاية الإسكندر فى الفصل الأول من هذا الباب .

---

(٢٢) ما بين الحاصرتين « حتى يرسل رسولا يحكى » فى ى .

الباب الرابع

فى الخديعة والحيل المغنية عن الحرب

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : فى الحث على الخديعة فى الحرب والحيل فيه .

لا نزاع أن الخديعة والحيل فى الحرب مطلوبة شرعاً وعقلا ؛ أما الشرع فقد ورد فى الصحيحين عن حديث أبى هريرة وجابر بن عبد الله الأنصارى — رضى الله عنهما — أن النبى صلعم قال : الحرب خدعة .

وأما العقل فلا خلاف بين العقلاء أن ما حصل من الظفر بحسن الحيلة ولطف المكيدة ، مع سلامة النفس وحفظ الجنود والراحة من التعب ، أحسن وأجمل وأعلى فى الفضل ، وأرفع فى الرتبة ؛ لأن الخارج للقاء العدو ومبارزة الفرسان ، وإن ساعده الظفر وحفه النصر ، فى مخاطرة من مكروه المصايب ، وعضاض السيوف ، وألم الجراح ، ومضاض الحروب ، ومغاورة الأبطال غاية المشقة ونهاية المخاطرة [على أنه لا يدرى أيكون] (١) الظفر بعد ملاقاة (٢) المشاق له أو لعدوه .

ومن أحسن ما يحكى فى ذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاوون — رحمه الله تع — فى آخر زمنه بعد الصلح (٣) مع التتر ، كان يحاسنهم ويراسلهم ويهاديهم ما بين كبير وصغير ، حتى يهادى العجائز فى البيوت كسراً للفتنة

---

(١) ما بين الحاصرتين « على أن لا يدرى أن يكون » فى ف .

(٢) « ملاقات » فى ى .
(٣) « الفتح » فى ى .

وإطفاء لنار الحرب . [وإنه سمع ذات يوم بعض خاصكيته يتحدثون ويقول][٤] بعضهم لبعض : إن السلطان يهادى التتر خوفاً منهم ؛ فنهرهم وقال : إن الذى أهادى به التتر جميعه ما يجى فى نظير كلفة أنعال خيولكم عند خروجكم لقتالهم . فأذعنوا لمقالته [٥] واعترفوا بالحق فى ذلك .

الفصل الثانى : فى كيفية التحيل والمخادعة .

وهذا ، وإن كان باباً لا يدخل تحت الحصر ، إلا أن الأصل فيه السياسة والأخذ بالقلوب فى الظاهر ، وإعمال الفكر [٦] فيما فيه تفريق شمل [٧] العدو ، ووقوع الخلف بينهم ، ووثوب بعضهم ببعض بألطف الحيل وأحسن المكايد ، والعمل فى كل واقعة بما يناسبها على ما يدل عليه العقل .

ومن أحسن المواقع فى ذلك أن يدس إلى [٨] عدوه الدسايس ، ويتوقع له الغوايل ، ويكاتب رؤساهم بما فيه استجلاب قلوبهم واستمالة خواطرهم ، وخروجهم عن طاعة صاحبهم ، بأن يعدهم كل جميل ، ويطمع آمالهم فى بلوغ كل مقصود ، والعفو عنهم والصفح عن جرائمهم إن مالوا إليه أو فارقوا صاحبهم وقصدوه . ويبذل الأمان لكل من سأله [٩] منهم ، ويرغبهم من كل وجه يقتضيه الترغيب ، ويعرفهم أنهم إن أقاموا على المخالفة حتى يظفر بهم أوقع بهم أشد النكال والخزى والهوان ، ويدعوهم إلى الوثوب بصاحبهم إن أمكنهم أو اعتزاله والخروج عنه إن لم يكن لهم بالوثوب عليه طاقة .

---

(٤) ما بين الحاصرتين « وإنه سمع بعض خاصكيته ذات يوم يتحدثون ويقولوا » فى ى .

(٥) « لمقالة » فى ى .

(٦) « الكفر » فى ف .

(٧) « شمايل » فى ف .

(٨) ناقص فى ى .

(٩) « سالمه » فى ى .

ومما استحسنوه فى ذلك أن يكتب إلى بعضهم كتباً كأنها جواب عن كتب وصلت منهم إليه ، ويكتب كتباً عن[١٠] ألسنتهم إليه[١١] ويلقيها فى المواقع التى يتوقع أن تصير إلى رئيسهم . فإنه إذا وقف رئيسهم على شئ من هذه الكتب كدرت خاطره عليهم ، وأنزلهم عنده بمنزلة التهمة ، فيكون ذلك سبباً إلى افتراق كلمتهم ، وتشتيت جماعتهم ، وتغيير خواطرهم ، أو تغيير خاطره عليهم . فإن وثب على واحد منهم ، أو قتله[١٢] ، أو سفك دمه ، داخلهم الخوف منهم ، وشملهم الرعب ، ودعاهم ذلك إلى الهرب من رئيسهم إليه . وإن كان رئيسهم متأنياً محتملا فلا بد أن يبقى فى نفس كل منهم وحشة .

الفصل الثالث : فى ذكر طرف من الخديعة والحيل التى وقعت لأهل تدبير الحروب .

وهذا الباب مما لا ينتهى إلى حد ، وفى كتب التواريخ وسير الملوك فى الجاهلية والإسلام منه ما ملأ الدفاتر وشحنها .

فمن أحسن ذلك موقعاً ، وألطفه مأخذاً ، ما رواه ابن إسحاق[١٣] فى مغازيه أن النبى صلعم ، فى يوم الأحزاب ، قصده قريش وبنو غطفان من مكة وما حولها ، وصاروا إلى المدينة الشريفة لقتاله ، ووافقهم على قتاله بنو قريظة يهود المدينة . وكان من مضايقتهم ومحاصرتهم للمسلمين ما أخبر الله تع بقوله : " إذا جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر " (٣٣ : ١٠) .

فبينما النبى صلعم على ذلك ، إذ أتاه نعيم بن مسعود ، أحد بنى غطفان ، فقال : يا رسول الله إنى قد[١٤] أسلمت ، وإن قومى لم يعلموا بى . فقال له

---

(١٠) « على » فى ف .
(١١) ناقص فى ى .
(١٢) « قتل » فى ف .
(١٣) « اسحق » فى ى .
(١٤) ناقص فى ى .

رسول الله صلعم : اذهب فأخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة يهود[١٥] المدينة ، وكان نديما لهم فى الجاهلية ، فقال : قد عرفتم ودى لكم ، وأنا لكم ناصح أن قريشا وغطفان قد جاءوا من بلادهم لقتال محمد وأصحابه ، وقد وافقتموهم على قتاله ، وأنتم مقيمون بهذا البلد وفيه أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم ، وأموالهم ونساؤهم وأبناؤهم بعيدة ، فإن وجدوا خيراً أصابوه وانصرفوا إلى بلادهم ، وخلوا بينكم وبين محمد وأصحابه ، ولا طاقة لكم بهم فلا تقاتلوهم معهم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون عندكم ؛ فقالوا : أشرت بالرأى .

ثم انصرف إلى قريش وغطفان وقال : قد علمتم مودتى لكم وفراقى محمدا ، وقد أتيتكم بنصيحة فاكتموها عنى . إن بنى قريظة قد ندموا على حرب محمد ، ووافقوه عليكم ، ووعدوه أن يأخذوا منكم[١٦] رهناً من أشرافكم ، ويدفعوهم إليه ليقتلهم فلا تدفعوا إليهم [رجلا واحداً منكم][١٧] .

فلما أرسل قريش وغطفان إلى بنى قريظة يسألونهم المساعدة طلبوا منهم الرهن من رجالهم ، فلما سمعوا ذلك منهم قالوا : صدق نعيم بن مسعود فيما قال . وأبوا أن يعطوهم[١٨] الرهن ، فوقع الخلف بينهم ، وكانت الهزيمة عليهم والنصرة لرسول الله صلعم وأصحابه .

وحكى الجاحظ فى بعض مصنفاته أن بهرام جور ، أحد ملوك الفرس ، لما ملك بعد أبيه يزدجرد غلب العدو على بعض أطراف بلاده ، فأظهر الاستهانة بأمر العدو والاستخفاف به ، حتى قوى أمر العدو ، واشتدت شوكته ، وزحف نحوه[١٩] فاجتمع وزراء [الملك بهرام][٢٠] إليه ، وكلموه فى ذلك ، فقال :

---

(١٥) « يهودا » فى ى .

(١٦) « منه » فى ف .

(١٧) ما بين الحاصرتين « منكم رجلا واحداً » فى ى .

(١٨) « يؤدوهم » فى ى .

(١٩) « عليه » فى ى .

(٢٠) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .

دعوه ، فأنا أعلم بضعفه منكم .

فلما دنا العدو من دياره دخلوا عليه ليخبروه الخبر ، فلما بلغه أمرهم عمد إلى مائتى جارية من جواريه ، فألبسهن التيجان والثياب المصبغات ، وأركب[٢١] كل واحدة منهن قصبة[٢٢] ، ولبس هو أيضاً ثوباً مصبوغاً وركب قصبة ، وخرج والجوارى يغنين بين يديه ، وهو يغنى أيضاً[٢٣] معهم ، فلما رآه الوزراء وأكابر الدولة يئسوا منه وتركوه[٢٤] ومضوا .

فدخل من ساعته إلى بيته ، وحلق رأسه ، ولبس مسحاً من صوف ، وصبر إلى الليل ، فخرج ومعه قوسه[٢٥] ونشابه ، حتى انتهى إلى القرب من طلائع العدو ؛ فكمن فى مكان على ظهر الطريق ، وكان مجيداً فى الرمى ، فجعل لا يمر به طائر فى السماء ولا وحش فى البرية إلا رماه فأصابه ، حتى اجتمع له من الصيد قدر كثير .

فبينما[٢٦] هو كذلك إذ مر به المقدم على طليعة العدو ، ونظر[٢٧] إلى الصيد ، فبهت لكثرته ، وقال له : من[٢٨] أنت؟ قال : إن أعطيتنى الأمان أخبرتك . قال : لك الأمان . قال : أنا غلام سايس خيل[٢٩] غضب علىّ مولاى فنزع ثيابى وحلق رأسى وألبسنى هذا المسح ، وأجاعنى بعد أن كان محسناً إلىّ[٣٠] ، فاستغفلته وخرجت أطلب شيئاً أصيده فآكله ، فاستدعانى ذلك إلى أن رميت هذا الصيد بجميع ما معى من السهام .

فأخذه مقدم الطليعة ، وحمله إلى ملكه ، وقص عليه القصة فقال له : ارم بين يدى فرمى ؛ فكانت تقع سهامه فى أى مكان أحب الملك من الصيد ،

---

(٢١) « ألبس » فى ف .
(٢٢) قصبة فى ف .
(٢٣) ناقص فى ى .
(٢٤) « فتركوه » فى ى .
(٢٥) « فرسه » فى ف .
(٢٦) « فبينا » فى ف .
(٢٧) « فنظر » فى ف .
(٢٨) « ما » فى ف .
(٢٩) « جندى » فى ى .
(٣٠) « لى » فى ف .

فبهت الملك لذلك ، وزاد تعجبه ، وقال له : أفى هذه المملكة من يرمى رمايتك ؟ فضحك، وقال: أيها الملك، إنيمن أضعفهم رماية. فقال له الملك: إن ملككم جاهل ، أما علم أنى قربت من دياره ؟[٣١] فضحك وقال : إن أعطانى الملك الأمان نصحته . قال : قد أعطيتك الأمان . فقال : إن ملكنا إنما فعل ذلك استهانة بك ، وتصغيراً لأمرك ، ولتتورط فى بلاده حتى لا تخرج من قبضته ؛ فإن عنده مائة ألف رام كلهم يرمى أجود منى . فلما سمع ذلك الملك كلام بهرام قال : قد نصحتنى ، وأمر مقدم جيشه أن يرتحل راجعاً إلى بلاده .

وانصرف بهرام إلى دار ملكه ليلا ، فلما أصبح قعد[٣٢] للناس ، فدخل عليه وزراؤه وعظماء دولته ، فسألهم عن خبر العدو ، فأخبروه بانصرافه ، فضحك وأخبرهم الخبر .

وحكى الجاحظ أيضاً أن كسرى أبرويز ، أحد ملوك الفرس ، وجه إلى قتال ملك الروم أميراً من أمرائه ، فعصى عليه ، وانحاز إلى ملك الروم ، وحمله على أبرويز . فخرج ملك الروم لقتال أبرويز فى [أربع مائة] [٣٣] ألف ، فلما بلغ ذلك أبرويز عمد إلى كتاب كتبه إلى أميره الذى عصى عليه ببلاد الروم يقول فيه : إذا وافاك[٣٤] كتابى هذا فأحرق ديار الروم ، وأنا وأنت بملك الروم فى يوم كذا . ونقب عصا ، وجعل ذلك[٣٥] الكتاب فى ضمنها ، وطلب نصرانياً كان عنده أسيراً يظهر المحبة للملك ، فعرفه بأمر الكتاب الذى فى العصا ، ودفع إليه العصا وقال : اذهب إلى أميرى فلان فى بلاد الروم ، وادفع له هذه العصا ، وعرفه بالكتاب الذى فيها . فخرج النصرانى حتى أتى[٣٦] ديار الروم ، فسمع نحو عشرة آلاف ناقوس تضرب ، فأدركته حمية النصرانية ، ومال إلى دينه . فأتى إلى ملك الروم واستأذن عليه فأذن له ، فدفع

---

(٣١) « داره » فى ى .
(٣٢) « نفد » فى ى .
(٣٣) ما بين الحاصرتين « أربعماية » فى ف .
(٣٤) « وفاك » فى ى .
(٣٥) ناقص فى ف .
(٣٦) « أذا » فى ى .

تلك العصا إليه وعرفه بأمر الكتاب ، فاستخرجه وقرأه ، فشق ذلك عليه ، وتغير على ذلك الأمير الذى انضم إليه من جهة أبرويز ملك الفرس ، وحلف إن وقعت عينه عليه ليقتلنه شر قتلة . فلما بلغ ذلك الأمير فرّ بنفسه ، ورجع ملك الروم إلى ملكه . فلما بلغ ذلك الخبر أبرويز ملك الفرس ، قال : إن كلمة هزمت أربع مائة ألف لجليل[٣٧] قدرها .

ولما كان الحرب بين أهل الشام والعراق بصفين ، وطالت الحرب بينهم ، حصلت القوة فى آخر الأمر لأهل العراق ، ولاح لهم الأمر[٣٨] والنصر والظفر ، وعلم أهل الشام أنهم قد[٣٩] أحيط بهم ، وتجهزوا[٤٠] للهزيمة ؛ فبادر بعض أهل الشام برفع المصاحف على الرماح ، فوقع الخلف بين أهل العراق بسبب ذلك ؛ فبعضهم يقول : نقاتلهم ، وبعضهم يقول : [لا نقاتل قوماً][٤١] رفعوا لنا المصاحف ، فبردت بذلك نار الحرب ، وكان سبباً لنصر أهل الشام على أهل العراق . والحكايات فى ذلك كثيرة يطول ذكرها .

---

(٣٧) « بجليل » فى ى .
(٣٨) ناقص فى ى .
(٣٩) ناقص فى ف .
(٤٠) « ظهروا » فى ف .
(٤١) ما بين الحاصرتين « لا نقاتلهم لأنهم » فى ف .

الباب الخامس

فى الاستشارة فى أمر الحرب

وفيه فصلان

الفصل الأول : فى الحث على الاستشارة فى الحرب .

لا نزاع فى أن الاستشارة فى نفس الأمر مطلوبة ؛ وقد روى أن النبى صلعم قال : ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار . ولا شك أنها فى الحرب أكد . وقد أمر الله تع النبى بها ، مع أنه أكمل الناس عقلا ، وأذكاهم لباً ، فقال جل من قائل : " ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر " (٣ : ١٥٩) . وذهب الكثير من المفسرين إلى أن المراد بذلك الاستشارة فى الحرب[١] .

[ويروى أن النبى صلعم كان كثير الاستشارة فى الحروب][٢] . وقد روى ابن إسحاق فى سيرته أن النبى صلعم ، لما نزل ببدر للقاء قريش وقتالهم ، قال له الحباب بن المنذر : يا رسول الله أرأيت [٣] هذا المنزل ؟ أمنزلا أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال النبى صلعم : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ، إن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ، فننزله ثم نغور [٤]

---

(١) « حروبه » فى ف .
(٢) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(٣) « أويت » فى ى .
(٤) « نغول » فى ف .

ما وراءنا من القلب ، يعنى الآبار ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملأه ماء ، ثم نقاتل فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلعم : لقد أشرت بالرأى . ثم نهض رسول الله صلعم بمن معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم، فنزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغورت ، وبنى حوضاً على القليب الذى نزل عليه وقاتلهم ، فكانت النصرة للمسلمين ، كما أخبر الله (٥) تع بقوله : " ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة " (٢ : ١١) . وروى (٦) الواقدى فى مغازيه أن النبى صلعم لما نزل على خيبر يحاصرها (٧) نزل بين ظهرانى النخل (٨) بالقرب من الحصن ، فقال له الحباب بن المنذر أيضاً : يا رسول الله إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم ، وإن كان الرأى تكلمنا . فقال النبى صلعم : بل هو الرأى . فقال : يا رسول الله دنوت من الحصن ، ونزلت بين ظهرانى النخل (٩) ، فيكون نبل القوم إلينا أسرع لارتفاعهم [على حصونهم] (١٠) مع أنى لا آمن من بياتهم لنا ، يدخلون فى ذرى (١١) النخل . تحول يا رسول الله إلى موضع برى من النز والوباء ، نجعل الحرة بيننا وبينهم ، حتى لا تنالنا سهامهم ، ونأمن بياتهم ونرتفع عن النز .

فقال رسول الله صلعم : أشرت بالرأى . ثم دعا محمد بن مسروق فقال : انظر منزلا بعيداً عن حصونهم برى من الوباء ، نأمن فيه من بياتهم . ففعل ، وكانت النصرة للنبى صلعم أيضاً .

---

(٥) ناقص فى ى .
(٦) « قال » فى ف .
(٧) « لحاصرها » فى ى .
(٨) « النخيل » فى ى .
(٩) « النخيل » فى ى .
(١٠) ما بين الحاصرتين « على حصون حصونهم » فى ى .
(١١) « درا » فى ف ، و « دار » فى ى .

الفصل الثانى : فى آداب [١٢] الاستشارة فى الحرب .

قد ذكر[١٣] العلماء بأمر الحروب[١٤] أن الأمر المستشار فيه فى الحرب على ضربين : الضرب الأول أن يكون المستشار فيه مما [١٥] يسوغ [إظهاره ، ولا يبالى بانتشاره كالاستشارة فى أمر العدو الظاهر المواجه بالقصد ، فالأولى به أن تقدم فيه مشاورة أهل العقل والعلم ؛ فقد سئل بعض الحكماء : أى الأمور أشد للملك[١٦] تأييداً [وأيها أشد ضرراً به]؟[١٧] فقال : [أشدها تأييداً له][١٨] ثلاثة أشياء : مشاورة العلماء ، وتجربة الأمور ، وحسن التثبت ؛ وأشدها إضراراً به ثلاثة أشياء : الاستبداد بالرأى من غير مشورة ، والتهاون ، والعجلة .

وقيل لرجل من بنى عبس : ما أكثر صوابكم . قال : نحن ألف رجل ، وبيننا حازم واحد ، فنحن نشاوره ، فكأنا[١٩] بذلك ألف حازم ، وإن لم يظهر[٢٠] له صواب فى رأى الأكابر عم[٢١] الرأى ، واستشار كل كبير وصغير ؛ فإن الرأى قد يوجد حيث لا يظن وجوده .

قال الحسن : كان النبى صلعم يستشير حتى المرأة ، فتشير عليه بالشئ فيأخذ به . ويقال لم تزل حزمة الرجال يستشيرون صواب الرأى حتى من الأمة الوكاء ، ولله[٢٢] در القائل :

لا تحقرن الرأى وهو موافق ‏ ‏ ‏ نهج الصواب إذا أتى من ناقص

---

(١٢) « أدب » فى ف .
(١٣) « جعل » فى ى .
(١٤) ناقص فى ى
(١٥) ناقص فى ى .
(١٦) « للعقل » فى ى .
(١٧) ناقص فى ف .
(١٨) ناقص فى ف .
(١٩) « فكأنما » فى ى .
(٢٠) « فإن تم له » فى ى .
(٢١) « الأعم » فى ى .
(٢٢) ناقص فى ى .

الضرب[٢٣] الثانى أن يكون المستشار فيه مما لا تسع[٢٤] إشاعته ، كما إذا كانت الاستشارة فى أمر خفى يحتاج إلى الكتمان عن العامة دون الخاصة ، مثل أن يقصد غزو العدو فى ديارهم على حين غفلة ، ونحو[٢٥] ذلك خص به من يختاره من خاصته ونصحائه وذويه الذين يثق بهم .

فإن اختص به[٢٦] واحداً بمفرده لم يطلع عليه غيره ؛ فقد حكى أن ملكاً من ملوك الهند استشار وزراءه فى أمر ، فقال له أحدهم : أصلح الله الملك ؛ إن فى تحصين السر الظفر بالحاجة والسلامة من الخلل ، ولا يصلح لسرنا هذا إلا لسانان وأربعة آذان ، يعنى أن يكون المشاوران اثنين فقط ، فخلا به الملك وكلمه بمفرده .

وإن احتاج إلى مشاركة جمع من أخصائه فيه استشار كل واحد منهم بمفرده ، ولم يعلمه أنه أظهره لغيره ؛ فإن ذلك أدعى لكتمانه وعدم إشاعته ، لأن كلا منهم يخاف من إظهاره فيشيع ، مع أن [٢٧]فى ظنه أنه لم يعلمه غيره .

وإن لم يسغ إظهار ذلك السر ، ولا استشارة أحد فيه البتة لخطر أمره ، فالطريق فى ذلك أن يقيسه على أشباهه من الأمور ، ويأخذه بنظايره ، ويتسمع[٢٨] ما يقع من كلام الناس فى ذلك من غير إظهار لقصد سماعه . فقد حكى أن المنصور بن أبى عامر ، ملك الأندلس ، دخل فى بعض مغازيه إلى بلاد الكفر بالأندلس ، وتوغل فيها ، فدخل عليه الشتاء، وأحاط به العدو وحصروه ، وسدوا عليه الدروب ، وحصنوها بالرجال ، فثقل [ذلك عليه] [٢٩] [وخاف الهلاك على نفسه][٣٠] وعلى المسلمين ، فخرج متنكراً يمشى فى

---

(٢٣) « الفصل » فى ى .
(٢٤) « يسع » فى ف .
(٢٥) « ودون » فى ف .
(٢٦) ناقص فى ف .
(٢٧) ناقص فى ف .
(٢٨) « يسمع » فى ف .
(٢٩) ما بين الحاصرتين « عليه ذلك » فى ف .
(٣٠) ما بين الحاصرتين « على نفسه وعلى الهلاك » فى ى .

عسكره ، فوافى رجلين يلعبان بالشطرنج وإلى جانبهما رجل آخر . فقال أحد اللاعبين : شاه مات كما مات المنصور بن أبى عامر ، فقال الرجل الذى إلى جانبهما : لم يمت ولم يمت المنصور بن أبى عامر ، ولم يزل يديدب للمغلوب حتى غلب . فتقدم إليه المنصور بن أبى عامر والرجل لا يعرفه ، وقال : قد قلت إنه لم يمت(٣١) وصدق قولك ، [وقلت إن](٣٢) المنصور بن أبى عامر [لم يمت](٣٣) فما الطريق فى خلاصه . فقال له الرجل : الطريق فى ذلك أن يقطع الأخشاب ، ويجمع أحجاره ، ويظهر أن هذا المكان أعجبه للإقامة ، وأنه يقصد أن يقيم فيه ويبنى ويزرع ولا يرتحل .فإذا سمع العدو ذلك كره مجاورته له ، فخلا طريقه وفتح له الدروب حتى يخرج . فتركه المنصور ، وعاد إلى محل ملكه(٣٤) ، وأرسل خلف ذلك الرجل ، فحضر إليه فعرفه بنفسه وقال : هل عندك من رأى آخر غير الذى ذكرت لى ؟ قال : لا . ففعل ما قاله له ، فبلغ ذلك العدو ، فثقل عليه ، وخاف أن يقيم بجواره ، ففتح له الدروب وخلا له (٣٥) طريقه فخرج سالماً .

---

(٣١) « يغلب » فى ف .

(٣٢) ما بين الحاصرتين « فغلب » فى ى .

(٣٣) ناقص فى ى .

(٣٤) « الملك » فى ى .

(٣٥) ناقص فى ى .

الباب السادس

فى صفة مقدم الجيش وجنده وما ينبغى أن يأخذهم به

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول : فى صفة مقدم العسكر [١] .

قال العلماء بشأن الحرب والدربة بأموره : ينبغى أن يكون مقدم الجيش كامل العقل ، ثابت القلب ، تام الشجاعة ، وافر اليقظة ، كثير الحذر ، شديد الحزم ، بصيراً بأحكام الحروب ومواضع الفرص منها ، عارفاً بالحيل والمكايد والخداع فيها ، عالماً بتدبير العساكر وترتيب الجيوش ، خبيراً بالطرق والمخارص ومناهل المياه وأحوال المراحل والمنازل ، والأوقات التى يستحق فيها السير والتى يستحق فيها النزول ، مجتهداً فى إدخال الأمن على عساكره ، مدافعاً عن القتال بلطف [٢] الحيلة ما أمكن ، متقدماً فى العلم بمراتب القتال ومحاصرة الحصون والمدافعة عنها ، صبوراً على المطاولة فى القتال والحصار ، حسن الانصراف بعد بلوغ الغرض .

وأن يكون مع [٣] ذلك عارفاً بالخيل شياتها [٤] وآلاتها والقيام بمصالحها ، وأصناف السلاح ، وما يستحسن منها ، وما يليق لبسه من أنواعها فى كل وقت من أوقات الحرب ، مع كونه حسن السيرة ، طاهر السريرة ، نقى الجيب ، صالح النية ، سخياً ببذل المال ، مرتاحاً لطلبه ، مؤثراً العفو على العقوبة ، والصفح على المؤاخذة . وإذا وعد وعداً أنجزه ، وإذا قال قولاً فعله ، وإذا عاقد

---

(١) « الجيش » فى ف .
(٢) « يلطف » فى ف .
(٣) « يعد » فى ف .
(٤) « لشاتها » فى ى .

على صلح أمضاه والتزمه ، وإذا بذل أماناً وفى به ، مع حفظ الناموس وقيام الأبهة وإظهار المهابة .

فإذا اشتمل على هذه الصفات وما فى معناها كان حقيقاً بالتقدمة على الجيوش والقيام بأمر العساكر و [القيام بأمر][٥] الحرب .

الفصل الثانى : فى صفات الجند وأهل العسكر من الفرسان والرجالة الذين يصلحون للقاء العدو وقتاله .

[ينبغى لمن يتصدى للخروج للقاء العدو وقتاله][٦] من الجند أن يكون شجاعاً مقداماً ، درباً بأمر الحرب مجرباً لأمورها ، شديد الصبر على الغربة ومشقة الأسفار ومقاساة الأهوال ، غير قلق ولا ضجر ولا متوان ولا مهمل[٧] . وأن يكون مع ذلك شديد المحبة لمن هو فى خدمته، ناصحاً له ، حريصاً على نصرته ، مؤثراً لحياته على حياة نفسه ، قائماً بما يلزمه من الخدمة ، موفياً حق مخدومه منها ، قائماً من طاعته بما تحمله قدرته ويصل إليه وسعه .

مع كونه عارفاً بالخيول وآلاتها وطرف[٨] من البيطرة ، بحيث يضع المسمار فى النعل إذا سقط منه[٩] فى الطريق ، وإصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح من آلات خيله وسلاحه حيث تدعو الضرورة إلى ذلك . وإن كان فارساً بأن يكون له دربة بركوب الخيل وحركاتها فى الحرب ، وما يجب على الفارس حال اللقاء من المقابلة والمقاتلة و الثبات حيث [احتيج إليه الكر والفر حيث][١٠] احتيج إلى ذلك ، والمراوغة والاستطراد حيث دعت الضرورة إليه .

---

(٥) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٦) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٧) « مهله » فى ف .
(٨) « طرق » فى ى .
(٩) ناقص فى ف .
(١٠) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .

وإن كان راجلا بأن[11] يكون صبوراً على السعى على رجليه ، عارفاً بمواقع الضرب والتستر منه ، والمفاسدة فى ملاقاة الرجال ، ومحاورة الفرسان ومدافعتها ، وتشريد الخيل وتنفيرها ، إلى غير ذلك من الأمور اللازمة للفارس والراجل .

الفصل الثالث : فيما يجب على صاحب الجيش من معرفة أصحابه .

قال أهل التجربة للحروب : ينبغى لصاحب الجيش أن يعرف ما استطاع معرفته عن أصحابه وجنده واحداً واحداً بخاصته ، وما يعانيه من أنواع الحرب ، وما يختص به من الشجاعة والجبن وسائر أحواله ، وأن يعرف مراتب الشجعان وما يتعاناه كل منهم فى شجاعته ؛ فإن منهم الشجاع الثابت الملازم لمواقفه ، المصمم [على خصمه][12] . ومنهم الشجاع الكرار الفرار الذى يذهب ويأتى . ومنهم الشجاع الجايل على الأقران الذى لا يجعل له خصما بعينه ، بل أينما لاحت له فرصة انتهزها . ومنهم من يجيد القتال فارساً ، ومنهم الذى يجيد القتال راجلا . ومنهم الذى يجيد الضرب بالسيف ، والذى يجيد الطعن بالرمح ، والذى يجيد الرمى بالسهام . ومنهم الجبان الذى يتشبه بالشجعان فى زيهم ، والجبان الظاهر الجبن ، وغير ذلك من صفات الشجاعة والجبن .

فإنه إذا عرف كل واحد من هؤلاء بصفته أنزله فى الحرب منزلته ، وأقامه فيما يليق إقامته فيه ، فحصل على الغرض المطلوب منه . وإن كان جباناً صرفه من مواقف القتال ، وعدل به[13] عنها . وإن لم يعرف حاله فى الشجاعة والجبن لم يعرف أين[14] يضعه ولا أى منزلة ينزله .

---

(١١) « فأن » فى ف .
(١٢) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(١٣) « منها » فى ف .
(١٤) « أن » فى ف .

وينبغي له[١٥] أن يعرف مع ذلك أحوال سائر أهل عسكره وأرباب وظائف دولته ، وما يشتمل عليه كل واحد منهم من المناقب السنية[١٦] ليتعين كل واحد منهم فيما يصلح له يجعله فى الموضع الذى يستحق أن يكون فيه . وينبغي أن يعرف ذا الرأى الصائب من أرباب دولته ، فيجعله أقرب الناس إليه وأخصهم به ؛ فإن الرأى شديد النفع فى أمر الحروب ، بل هو مقدم على الشجاعة . وناهيك قول ابن أبى[١٧] تمام الطائى :

الرأى قبل شجاعة الشجعان   هو [١٨]أول وهى المحل الثانى

وحكى عن المهلب بن أبى صفرة ، شيخ الحروب وإمامها ، أنه غاب عنه رجل من أهل عسكره اسمه بيهس [فقال][١٩] : ما يسرنى أن يكون فى عسكرى ألف شجاع ويغيب عنى بيهس . فقيل له[٢٠] : إنه ليس من [٢١] المحل السامى من الشجاعة . فقال : نعم ، ولكنه شديد الحزم ، محكم العقل ، فلو كان مكانه ألف شجاع لما أمنت عليهم .

الفصل الرابع : فى كيفية سياسة صاحب الجيش جيشه وتدبير عسكره وما يأخذهم به .

أول ما يجب عليه من ذلك أن ينزل كل واحد منهم منزله ، ويقصد به إلى منزلته[٢٢] اللائقة به ، ويوفيه من الإكرام حقه ، ويعرف له[٢٣] قدر كل ما فعله مما يستحسن من مثله ، وأن يجارى المحسن على إحسانه ، ويقابل المسئ على إساءته ؛ يقيل المتنصل من الذنب عثرته . وعليه أن يأمر جنده وأتباعه بالألفة والمعاضدة والمناصرة ونزع الغل[٢٤] من صدورهم [وسل الشحنا

---

(١٥) ناقص فى ف .

(١٦) « السنة » فى ف .

(١٧) ناقص فى ف .

(١٨) « هى » فى ى .

(١٩) هذه الكلمة تدخيل التحقيق .

(٢٠) ناقص فى ف .

(٢١) « فى » فى ف .

(٢٢) « المرتبة » فى ى .

(٢٣) ناقص فى ف .

(٢٤) « الحقد » فى ف .

من قلوبهم] (٢٥) ؛ فإن التآلف أدعى للنصرة ، وأقرب إلى حصول الغرض .

وأن يمنعهم من التعرض لمن مروا به من أهل الطاعة والانقياد ، وبسط اليد إلى شئ من أموالهم ، والتعرض لحريتهم ، ويعدهم العوض عن ذلك بما(٢٦) ينالوه من عدوهم إذا ظفروا به .

ومن أتى منهم ذنباً قابله عليه وأدبه بحسب ما يقتضيه ذلك الذنب ، مثل أن يدل العدو على عورة أصحابه أو يطلعه على خباياهم ؛ فإن الذى يفعل ذلك عدو فى الحقيقة ، لأنه(٢٧) يطلع العدو على ما يتسلط به على أصحابه ، فيكون قد بلغ بالعدو ما لم يكونوا يبلغونه لولاه .

ومنها ما يقتضى العقوبة ، مثل أن يوارى الأسير حتى يهرب ، أو يصف أصحابه بالضعف ، أو يخذل أصحابه عن العدو ، أو يزحف بهم ؛ فإن من يتعاطى هذه الأمور(٢٨) موهن لأمر الجيش المضعف لقلوب العسكر .

ومنها ما يقتضى التوبيخ والتعنيف ، مثل أن يتأخر عن الموافاة يوم الحرب بغير عذر ، أو يطلع على خبر من أخبار العدو ولا(٢٩) يبلغه لصاحب العسكر ؛ فإن تأخير الخبر ساعة قد يعقب تعب سنة .

ومنها ما يقتضى اللوم ، مثل أن يوكل(٣٠) بشئ من أحوال القتال [فيخل به](٣١) ، أو يخل بمصافه من غير عذر ، أو يصف العدو بالقوة ونحو ذلك .

---

(٢٥) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(٢٦) « لما » فى ف .
(٢٧) « فإنه » فى ف .
(٢٨) « الأحوال » فى ى .
(٢٩) « فلا » فى ف .
(٣٠) « يأكل » فى ف .
(٣١) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

ومنها ما يقتضى الإيقاظ والتنبيه خاصة ، مثل أن يسلك غير طريقه[٣٢] ، أو يقف فى غير موقفه ، أو ينزل فى غير منزله .

وبالجملة فذلك موكول إلى رأى صاحب الجيش ، حيث رأى المصلحة فى الفعل فعل ، وحيث رأى المصلحة فى الترك ترك . ولكل حالة حكم يختص بها .

(٣٢) « طريقته » فى ى .

الباب السابع

فى بيان متى يجب ملاقاة العدو وقتاله

وفيه فصلان

الفصل الأول : فيما إذا كان الجيش قوياً والعدو ضعيفاً .

وفى هذه الحالة تجب مناهضة العدو ومناجزته وغزوه فى بلاده . وقد أمر الله تع نبيه صلعم بقتاله أهل الكفر [والإغلاظ عليهم] [1] ، فقال جلت قدرته : " يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم " (٩ : ٧٣) . وأمر بقتال من جاور المسلمين من[2] الكفار ، فقال جل من قائل : " قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة " (٩ : ١٢٣) .

[قال العلماء أقل ما يجب][3] الغزو فى هذه الحالة فى كل سنة مرة . وقد غزا [4] النبي صلعم ثمانى وعشرين غزوة ، وفتح أكثر بلاد العرب قبل وفاته صلعم . وقاتل أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — بعده فى خلافته أهل الردة الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلعم ومانعى الزكاة ، وقال : لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلعم لقاتلتهم عليه . وفتح بصرى من بلاد الشام فى خلافته [وهى أول مدينة فتحت من بلاد الشام][5] . [وفتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعده دمشق وساير بلاد الشام][6] وما وراء ذلك من جهة الشرق ،

---

(١) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(٢) « و » فى ف .
(٣) ما بين الحاصرتين « قال وأقل يجب » فى ى.
(٤) « غزى » فى ف .
(٥) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(٦) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

حتى انتهى إلى خراسان [وأعمالها] [٧] . وكذلك فتحت [فى أيامه قرى من قرى الشام] [٨] ومصر وبرقة وغيرها . وفتح فى خلافة عثمان [رضى الله عنه] [٩] من جهة الشرق كرمان وسجستان وفارس وطبرستان وغير ذلك ، ومن جهة الغرب أفريقية وهى بلاد تونس ، ومن جزاير البحر قبرس .

وغزا معاوية فى أيامه القسطنطينية [١٠] ، قاعدة ملك الروم ، وضايقها [١١] . وتوالت غزوات الخلفاء بعد ذلك وفتوحهم فى الدولة الأموية والدولة العباسية بعدها ، حتى يقال إن المعتصم ، أحد خلفاء بنى العباس ، بلغه أن امرأة شريفة أسرت تعذب [١٢] عند صاحب عمورية من بلاد الروم ، فصاحت المرأة : وامعتصماه ! فقال لها ملك عمورية : يأتى المعتصم لخلاصك إلا على أبلق . فنادى فى عسكره بركوب الخيل البلق ، وخرج لخلاصها ، وفى مقدمة عسكره أربعة آلاف أبلق ، فخلصها وعاد [١٣] .

وكذلك توالت الفتوح العظيمة من ملوك مصر ؛ ففتح الملك الناصر [١٤] صلاح الدين يوسف بن أيوب — رحمه الله تع — وأخوه العادل أبو بكر ما كان غلب عليه الفرنج من بلاد الشام ، وهى القدس والسواحل وأنطاكية وبعض أعمال الفرات . ثم غلب الفرنج على بعض ذلك أيضاً حتى استخلصه منهم ملوك الترك بالغزوات المتوالية من الملك الظاهر بيبرس وغيره ، حتى كان آخر ما انتزع منهم من ذلك من سواحل الشام على يد أشرف بن قلاوون فى سنة [تسعين وستمائة] [١٥] .

(٧ ، ٨ ، ٩) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .

(١٠) « القسطنطنة » فى ى .

(١١) ناقص فى ف .

(١٢) « فقدت » فى ى .

(١٣) فى هامش ى بيت شعر لأبى تمام :

لبيت صوتاً زبطرياً هرقت لـه ... كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

(١٤) ناقص فى ف .

(١٥) ما بين الحاصرتين « تسع وستمائة » فى ى .

الفصل الثانى : فيما إذا كان الجيش ضعيفاً والعدو قوياً .

وفى هذه الحالة يجب التأنى وترك العجلة فى لقاء العدو ، وعدم التعرض له إن أعرض ، والأخذ فى أمره بالحيل والخديعة والمكيدة ما أمكن ، ولا يسوغ التعرض له فى هذه الحالة ابتداء؛ فإنه متى تعرض له كان كمن أثار (١٦) الحية من وكرها(١٧) مع عجزه عن مقاومتها ودفعها، فعرض نفسه للضرر ، وألقى بيده إلى التهلكة . وقد قال بعض الحكماء(١٨) : خذ بالأناءة فى الحرب ما استقامت لك . [قال بعض العلماء](١٩) يعنى ما كنت على جانب من الأمن .

وبالجملة فعلى المتصدى لقتال العدو أن لا يعجل إلى لقائه ، وأن يقبل العافية والسلامة ما وهبت له . فقد قال النبى صلعم : لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية فإنهم ينصرون كما تنصرون ، فإذا لقيتموهم فاثبتوا . وعليه أن لا يسأم مطاولة عدوه ؛ فإن فى خلال الانتظار انتهاز الفرص(٢٠) والظهور على أحوال العدو وخفى أمورهم . ولا يطلب الظفر باللقاء ما وجد إلى(٢١) الظفر بالحيلة سبيلا ؛ فإن الخروج إلى العدو يقتضى التغرير بالنفس ، واستهلاك الأموال ، والغربة عن البلد ، ولو بظاهرها ، مع ما فى ذلك من توقع تلاف النفس ، وركوب الأخطار، وتحمل المشاق . وربما فعلت الحيلة ما لا يفعله الحرب على ما تقدم فى باب الخديعة والحيل .

وعليه أن يصرف أكثر اهتمامه إلى دخول عدوه فى طاعته وانقياده إليه ، حتى يكون ذلك مقدماً عنده على الغنيمة [فإن الغنيمة](٢٢) العظمى عند

---

(١٦) « أثر » فى ف . (١٧) « من جحرها » فى ف .
(١٨) « العلما » فى ف ، لكن مكتوب تحت السطر « الحكما » .
(١٩) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى . (٢٠) « الفرصة » فى ى .
(٢١) ناقص فى ف . (٢٢) ناقص فى ى .

أرباب العقول هى انقياد العدو ودخوله فى الطاعة ؛ فإذا حصل ذلك فقد حصل الفوز بالمقصود . ولو لم يكن من القنع بالطاعة إلا سلامة النفس والأموال لكان فى ذلك كفاية . وإذا بذلت له الطاعة فعليه أن يكف عن القتل وسفك الدم ما استطاع إذا وثق[٢٣] من عدوه بذلك ؛ إذ لا فائدة من قتل الطائع ، فلعل من يسلم من[٢٤] القتل يصير عوناً له بعد أن كان عوناً عليه .

(٢٣) « وافق » فى ف .

(٢٤) « سَلِم » فى ف .

الباب الثامن

فى الطلائع وترتيب أمورها وما يعتمد فى ذلك

وفيه فصلان

الفصل الأول : فى [حقيقة الطليعة][1] وصفة رجالها وخيلها .

أما الطليعة فإنها عبارة عن الخيالة التى تتقدم العسكر لاستطلاع الأخبار وكشفها ؛ سميت بذلك الطلائع لاطلاعها على خبر العدو ، وتسمى الكشافة أيضاً لكشفها الخبر .

وأما رجالها فقد قالوا إنه ينبغى أن يختار للطليعة رجال النصح [والنجدة][2] والمعرفة بمواقف الحروب ؛ فإن النصرة متى حصلت للطليعة[3] كانت النصرة للعسكر غالباً . ولذلك يستبشر أهل العسكر إذا حصلت النصرة لطليعته . وينبغى أن يجعل على الطليعة مقدماً ترجع إليه وتطيعه ، لأنه إذا لم يكن عليهم مقدم يرجعون إليه ، يقفون عند قوله ، أدركهم الخلف ، وفاتت المصلحة فيما هم فيه.

وأما خيولهم فينبغى أن تكون خيولهم سوابق جيدة[4] الظهور ، سالمة الحوافر ، ليس بها جماع ولا فيها حرون ؛ فإن المقصود من الطليعة سرعة رد الخبر . وإذا كان فى الفرس حرن أو جماع أو نحو ذلك فوت المقصود من الطليعة .

---

(١) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

(٢) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

(٣) « لطليعة » فى ى .

(٤) « جيلة » فى ف .

الفصل الثانى : فى أحكام الطليعة وما ينبغى أن يعتمد فيها .

أول ما يجب أن يعتمد فى أمر الطليعة أن لا يكون على أحد منهم درع ، ولا معه(٥) ترس ؛ وأن يكون فى جعبته عشرون سهماً فما حولها ، وأن لا يكون معه شئ يثقله البتة ، لأن ذلك مما يمنع سرعة الخبر ، وقد تقدم أن المطلوب منها سرعة الخبر .

والأحسن أن يكون مسيرهم فى أرض مستوية ليس فيها غبار إن أمكن ؛ لأنه أقرب لرؤية العدو ؛ فإن احتاج الأمر إلى الصعود إلى مكان عال من جبل أو نحوه صعد البعض وبقى البعض فى الأرض المستوية .

ولا ينتهى الطليعة فى السير إلى أكثر من ثلثى الطريق فيما بينهم وبين العدو ؛ وعليهم(٦) أن لا يسرعوا إلى جهة العدو متوغلين فى جهتهم ، بل يكون سيرهم بالرفق والتأنى ، مع ملاحظة (٧) الكشف يميناً وشمالا .

وإن أظهر العدو هزيمة بين يدى الطليعة فلا يتبعوه ؛ فإنه ربما كان هناك كمين يخرج عليهم لا سيما إذا كانت هزيمة طليعة العدو فى غير جهة عسكر العدو ، مثل أن يكون العدو فى القبلة فتنهزم(٨) طليعته إلى جهة أخرى ، فإن مثل ذلك لا (٩) تفعله طليعة العدو فى الغالب إلا عند إكمان كمين لهم فى تلك الجهة . وهذا مما يقع كثيراً للطلائع ، فيجب التحرز منه .

ثم إن كانت الطليعة فارساً واحداً فقط كشف الخبر وأتى به ، وإن كانت اثنين بقى واحد فى الكشف وأتى واحد بالخبر ، وإن كانت ثلاثة أتى

---

(٥) ناقص فى ى .

(٦) « عليه » فى ى .

(٧) « ملاحضة» فى ف .

(٨) « فيهزم » فى ف .

(٩) ناقص فى ف .

واحد بالخبر وبقى اثنان لإستبراء الكشف ، وإن كانت أكثر من ذلك صرفهم المقدم عليهم بالإتيان[١٠] بالخبر والبقاء فى الكشف على ما يختاره .

وينبغى أن يكون الذى يرجع بالخبر من الطلائع عاقلا صدوقاً ؛ وإذا أتى بالخبر وصار[١١] بحيث يرى العسكر نازلا أو سائراً خفف جرى فرسه على التدريج إلى أن يصل العسكر فيدخله برفق ، ويخبر صاحب العسكر بما رأى ولا يخبر بذلك غيره .

وينبغى أن يكون بين صاحب العسكر وبين الذى يأتى بالخبر إشارة يفهم بها[١٢] صاحب العسكر الخبر حيث لا يسع إظهاره . فقد روى أن النبى صلعم لما أرسل لكشف خبر بنى قريظة[١٣] قال : إن رأيتم خبراً فأعلنوا به ، وإن وجدتم عذراً فألحنوا إلى لحناً أعرف به ، ولا تفتوا[١٤] به أعضاد المسلمين ، بمعنى لا تخبروهم[١٥] بخبر يسوءهم .

وكذلك ينبغى لمن يأتى بالخبر إذا وقعت الإحالة بينه وبين العسكر بعدو أو نحوه أن يكون بينه وبين صاحب العسكر إشارات يفهم منها مقاصده من نزول العدو وسيره [وكثرته وقلته مثل أن يكون نزوله عن فرسه إشارة لنزول العدو وسيره][١٦] إلى جهة إشارة إلى سيره لتلك الجهة ، ويركض[١٧] فرسه إشارة إلى غارة العدو ، ونحو ذلك .

---

(١٠) « فى الأتيان » فى ى .
(١١) ناقص فى ف .
(١٢) « به » فى ف .
(١٣) « قريضة » فى ف .
(١٤) « تفتتوا » فى ى .
(١٥) « يخبروهم » فى ف .
(١٦) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(١٧) « ركض » فى ى .

الباب التاسع

فى بيان ما يجب من التحرز عند الرحيل وبيان ما يجب فعله فى حالة[1] المسير

وفيه فصلان

الفصل الأول : فى التحرز عند الرحيل .

قال أهل النظر فى أمور الحروب[2] : على صاحب الجيش أن لا يأذن لأحد من أهل عسكره جملة فى الرحيل إلا بعد تعبئة عسكره وترتيبه ، وركوب خيولهم ، ولبس لامة حربهم ، ووقوف المقدم على العسكر القائم[3] بتعبئته ، وترتيبه بأصحابه فى نواحى العسكر بعدتهم وسلاحهم . فإذا فعلوا ذلك أخذ الناس فى التحميل والرحيل والخيل محيطة بهم من كل جانب ، حتى إذا استقلوا ساروا حينئذ بعد أن يعرف صاحب العسكر كل أمير أو قائد من أمراء عسكره وقواده والمقدمين على الطوائف[4] وولاة الأعمال بما يفعل كل واحد منهم فى حيزة ذلك ، وما هو من شأنه بحسب ما يناسب فى كل موطن وتدعو الحاجة إليه .

ويختلف الحال فى الاحتراس من الرحيل باختلاف الأماكن والأوقات ؛ فلا خفاء أن الرحيل فى الليل أولى بشدة الاحتراس من الرحيل فى النهار ، وفى

---

(١) « حال » فى ف .
(٢) « الحرب » فى ف .
(٣) ناقص فى ف .
(٤) « طواف » فى ف .

الأماكن ذات[٥] الطرق المختلفة أشد من المكان الذى ليس فيه إلا طريق واحد .

وعلى صاحب العسكر أن لا يمكن أحدا من أهل عسكره يتقدم على على طلائع العسكر [بحال فإنه ربما أصيب أحد ممن تقدم فيكون سبباً لطمع العدو فى العسكر] [٦] . وقد[٧] يجر ذلك إلى فساد عظيم لا يمكن تداركه ؛ فإن الأمور بأوائلها .

الفصل الثانى : فى بيان ما يجب فعله فى حال المسير .

أول ما يجب على صاحب الجيش أن يقدم طلائعه على عسكره لكشف خبر العدو ، على ما تقدم فى الباب قبله ؛ ثم بعد الطلائع يقيم رجلا من أهل الصرامة وصحة النظر والمعرفة بالطرقات فى جماعة من ثقات عسكره . ويقيم رجالا لإصلاح الطرق ، وقطع الأشجار[٨] ، وإقامة الجسور والقناطر على الأنهار ، وإزاحة سائر ضرورات الطرق ؛ فإن فى ذلك تسهيل الطريق على العسكر [وإزالة التعب عند ازدحام العسكر][٩] ، وربما أوجبت تقصيراً فى السير أو تأخيراً عن بلوغ المقصد الذى يريده فى وقت معين .

ثم أول ما يقدم من عسكره مقدمة العسكر [وهى الخيالة التى تكون فى أول العسكر][١٠] وراء ذلك على الترتيب إلى الساقة ، وهى آخر العسكر ، على ما سيأتى بيانه فى ترتيب المصاف إن شاء الله تع .

وعليه أن يأمر بعض طلائعه أن يجاوز المنزلة التى تنزل[١١] فيها مقدمة

---

(٥) « و » فى ف .
(٦) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(٧) « فقد » فى ف .
(٨) « الشجر » فى ف .
(٩) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(١٠) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(١١) « ينزل » فى ى .

العسكر لكشف ما وراء المنزلة بحسب ما يقتضيه الحال ، ثم يلاقيه بخبر ذلك وخبر نزول مقدمة العسكر [١٢] ليكون على بصيرة من ذلك قبل وصوله إليه . فإن أبطأ عليه من وجهة للكشف ، أو داخلته ريبة فى أمر ما هو أمامه ، أرسل من يكشف ذلك وتحققه ويعيد الخبر إليه . فإن بلغه خبر يكرهه لم يظهر خوفاً ولا هلعاً ؛ فإن ذلك مما يشوش قلوب عسكره .

وعلى صاحب الجيش أنه إذا عرض فى الطريق مضيق ، أو عقبة ، أو نهر ، أو نحو ذلك ، وقف بنفسه حتى يجوز [١٣] العسكر عن آخره ؛ فإنه إن لم يفعل ذلك ربما طلب كل واحد منهم تقديم نفسه على غيره ، فوقعت المضايقة ، وجرى الخلف بين العسكر ، وأدى ذلك إلى إثارة الفتنة . وقد حكى عن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى أنه لما دخل بلاد الروم وفتح قيسارية وعاد كان هو الذى يتولى أمر ذلك بنفسه ، ويقف فى المضايق وتعدية الأنهار حتى يجوز الجيش واحداً واحداً .

وعليه أن يوكل بساقة عسكره رجلا ممن يرجع إليه ويعمل بقوله فى جماعة من أصحابه ، يحبس الجند والغلمان ، ويمنع أحداً منهم من الرجوع إلى ما وراء العسكر ، ولا يمكن أحداً منهم من التخلف عن العسكر ؛ فإنه متى رجع أحد منهم أو تخلف عن العسكر ربما أخبر عن العسكر بشئ مما اتفق فيه مما لا ينبغى إشاعته ، أو يزيد فيه أو ينقص ، فيزيد بذلك تشويش خواطر الناس .

---

(١٢) « عسكره » فى ى .

(١٣) « يجيز » فى ى .

الباب العاشر

فى بيان ما يجب من التحرز عند النزول والإقامة فى المنزلة

وفيه فصلان

الفصل الأول : فى اختيار موضع المنزل .

قال أهل التجربة لأمور الحرب : يجب أن تكون المنزلة التى ينزل فيها[1] الجيش ذات ماء وعشب وحطب وغير ذلك ما يرتفق به العسكر ، وأن يكون الموضع الذى يقع فيه[2] النزول لو أراد العسكر التقدم إلى العدو أمكنه ذلك ، ولو أراد التأخر عنه لمصلحة اقتضاها الحال أمكنه ذلك .

ويجتهد أن يسند ظهور أصحابه إلى الجبال ، أو التلال ، أو الأنهار ، وما أشبه ذلك ، مما يؤمن سرعة التطرق والكمن والبيات من العدو ؛ فإن لم يجد خلف عسكره جبلا ولا تلا ولا نهراً ، ولا غير ذلك مما يقى ظهره[3] أقام خلف العسكر نظارة كالطلائع ، ينظرون ما يأتى من خلفه ليأمن هجوم العدو عليه بغتة ، وذلك أن العدو إن أتى مواجهة واجهه أهل العسكر باللقاء بالسلاح ، ودافعوه بما تصل[4] إليه طاقتهم من الدفاع . وأما إذا أتى من جهة ظهر العسكر

---

(١) « بها » فى ف .
(٢) ناقص فى ى .
(٣) « العسكر » فى ف .
(٤) « تجب » فى ف ، مع « تصل » تحت السطر » .

فإن لم يكن هناك ما يحفظ ظهره ربما هجم[٥] العدو على العسكر على حين غفلة منه[٦] .

الفصل الثانى : فى ترتيب العسكر فى المنزلة وما يجب من الاحتراز فيها .

أما ترتيب العسكر فى المنزلة فيجب أولا أن يكون نزول العسكر بترتيب صحيح ، لكل أحد من الأمراء وأرباب الوظائف منزلة معروفة فى جهة من جهات منزل صاحب العسكر ؛ لأنه إذا كان لكل رئيس موضع معروف ، ودعت الضرورة إلى طلبه وهان وجوده ، ولو شردت دابة من دواب واحد منهم وعرفت بوسمها هان عودها إليه .

وأما الاحتراز فى المنزلة إذا خيف هجوم العدو فينبغى[٧] إذا أخذ كل واحد من العسكر منزلة ، أن يحتفروا خندقاً مستديراً على العسكر ، ويجعل له بابان ، أو أكثر من ذلك ، إن كان العسكر كثيراً . ويقف الرماة والفرسان على أبواب الخندق على أتم أهبة . وقد كان أصحاب العساكر[٨] فى الأزمنة السالفة إذا نزلوا منزلا نثروا خارج الخندق حسك الحديد المعروفة الآن بالزقازيق ، وهو حديد له شوكات كيف وضع على الأرض قامت له شوكة منه ليكون ذلك كالسور على العسكر ؛ لأنه متى دهمهم العدو دخلت تلك الشوكات[٩] فى حوافر الخيل وأرجل الرجالة[١٠] فيمنعهم[١١] الحركة .

وإذا كان العسكر نازلا منزلة فعلى صاحب العسكر أن يبعث الطلائع من عسكره نهاراً فى الطرق والمواضع المخوفة ، ويقيم خيالة خارجاً عن عسكره على

---

(٥) « يهجم » فى ف .　　(٦) ناقص فى ف .
(٧) « ينبغى » فى ى .　　(٨) « العسكر » فى ى .
(٩) « الشوكاة» فى ف ، وكلمة «ثلاث» مكتوبة فى الهامش ، لعل عند الحسك ثلاث شوكات.
(١٠) « الرجال » فى ف .　　(١١) « منعهم » فى النصين .

المستشرفات والمضايق من أبواب العسكر إلى غروب الشمس . فإذا دخل الليل أقام غيرهم مقامهم حتى تطلع الشمس .

وقد استحسنوا أن يجعل فى الليل خيالة من وراء الجيوش[١٢] غير بعيد ، يرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير لإيقاظ العسكر وطلب النصرة[١٣] من الله تع ؛ وهذه الخيالة تسمى الدراجة . وأن يجعل وراء هؤلاء على نصف شوط عسسا يدورون بالعسكر وهم سكوت ليدركوا من هو مختف[١٤] أو كامن من المكيدة يكيدها[١٥] لا بأس[١٦] حينئذ بإكمان الكمائن خارج العسس والحرس ، وإيقاد النيران فى جميع نواحى العسكر لإرهاب العدو [على البعد][١٧] والاطلاع عليهم بظهور النور أن يقربوا[١٨] .

وإن اتفق أن العدو طرقهم ليلا من جهة من جهات العسكر خرج عليهم الكمين ، وتلقاهم الخيالة والحرس الذين هم خارج العسكر ، ليصير العدو الذى طرقهم محصوراً بين العسكر وبين الذين خرجوا عليه . وعلى أهل العسكر فى هذه الحالة أن يلزموا أماكنهم ، ولا يخرج واحد منهم عن مكانه ما استطاع ، ولا يتكلم منهم أحد إلا أهل الجهة التى جاء[١٩] العدو منها ؛ فإنهم يكبرون ثلاث تكبيرات متواليات عند مجيء العدو . وليعلم أن العدو قد أتى من جانبهم ؛ فإن ترك العدو ذلك الجانب وجاء من جانب آخر ، أو أتى إلى الجانب الآخر طائفة من العدو غير الأولى كبر أهل تلك الناحية أيضاً ليميل القوم إليهم .

---

(١٢) « الجيش » فى ف .

(١٣) « النصر » فى ى .

(١٤) « مخيف » فى ى .

(١٥) « يكيدونها » فى ى .

(١٦) « ليأمن » فى ف .

(١٧) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .

(١٨) « قربوا » فى ى .

(١٩) « حل » فى ف .

الباب الحادى عشر

فى بيان متى يجب تعبئة العساكر وترتيبها وما يجب من التعبئة حينئذ

وفيه فصلان

الفصل الأول : فى بيان متى يجب تعبئة العساكر وترتيبها .

قال أهل الدربة بالحرب والتجربة لوقائعه : ينبغى لأهل العسكر إذا توجهوا إلى عدوهم أن يكونوا فى مسيرهم[١] ونزولهم على تعبئة ، وأنه يجب التعبئة فى حال الأمن كما يجب فى حال الخوف ، إلا إذا توجب الضرورة ترك ذلك ، وأنه لا يترك ذلك ما استطاع . وقد حكى عن بعض أهل الحزم أنه توجه من الشام إلى الشرق يريد المحاربة ، فخندق فى أول منزل نزله [من الشام][٢] مع توفية التعبئة حقها ، ولم يزل يفعل[٣] ذلك إلى أن بلغ موضع قصده ، وظفر بعدوه . وقد ذكر أن هذه كانت حال المهلب بن أبى صفرة ، شيخ الحروب وإمامها .

وذهب آخرون إلى أن التعبئة إنما تكون إذا كان [من العدو][٤] على مسافة قريبة قدرها بعضهم بخمس مراحل ، وكان [المراد أنه][٥] حينئذ يجب

(١) « سيرهم » فى ى .
(٢) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(٣) « ينعل » فى ى .
(٤) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٥) ما بين الحاصرتين « المراد به » فى ى .

ذلك ويتأكد الحال فيه . وبالجملة فإنه يجب أن يكون مستظهراً فى حال سيره ونزوله وإقامته ، آخذا أهبته فى جميع الأوقات . فإنه متى أخل بالتأهب [أو فوته](٦) كان قد عرض نفسه من الحوادث لما لعله لا يستطيع تداركه .

الفصل الثانى : فى بيان [ما يجب من](٧) التعبئة حينئذ .

قال العلماء بأمور الحرب وأحوالها : إذا كان المحارب على مسافة قريبة من عدوه فلا يسير إلا فى مقدمة وميمنة وميسرة ، وساقة قد شهروا الأسلحة الأسلحة ونشروا البنود والأعلام ، [وقد عرف](٨) كل منهم مركزه وموضعه من العسكر(٩)، سائرين تحت ألويتهم ، قد أخذوا أهبة القتال واستعدوا للقاء العدو ، وعارفين مواضعهم فى سيرهم ومعسكرهم(١٠) . ويكون رحيلهم ونزولهم على راياتهم وأعلامهم ، وفى مراكزهم(١١).

وقد عرف كل قائد أو أمير منهم أصحابه مواقفهم من الميمنة والميسرة والقلب والساقة والطليعة ، لازمين لها [غير مخلين بما استنجدوا له ولا متهاونين بما ندبوا إليه حتى يكون العساكر](١٢)فى كل منهل يصل(١٣)إليه ومسافة تجتازها(١٤) كأنها عسكر واحد فى اجتماعها على العدو ، وأخذها بالحزم ، ومسيرها تحت راياتها، ونزولها فى مراكزها ، ومعرفتها مواضعها(١٥).

---

(٦) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

(٧) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .

(٨) ما بين الحاصرتين « ليحرر » فى ى .

(٩) « العساكر» فى ف .

(١٠) « عسكرهم » فى ى .

(١١) « مراكبهم » فى ف .

(١٢) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

(١٣) « تصل » فى ف .

(١٤) « يجتازها » فى ى .

(١٥) ناقص فى ف .

الباب الثانى عشر

فى بيان كيفية التعبئة عند الخوف فى المسير وحفظ خزائن الأموال

وفيه فصلان

الفصل الأول : فى بيان كيفية التعبئة عند الخوف فى المسير.

قال أهل المعرفة بتدبير الحروب : إذا عرض للعسكر خوف فى المسير فإن الخوف قدام العسكر جعل نصف الميسرة قدام الصفوف فى السير ، ونصف الميمنة على أثرها ، ثم القلب على أثرها ، ثم نصف الميسرة على أثر ذلك ، ثم نصف الميمنة على أثر ذلك . وإن كان الخوف من جهة الميمنة جعل سير الميمنة أمام الصفوف ، ثم القلب ، ثم الميسرة . وإن كان الخوف من جهة الميسرة [1] جعل سير الميسرة أمام الصفوف ، ثم القلب ، ثم الميمنة . وإن كان الخوف مجهولا لم تعرف جهته بث الطلائع وجند[2] الكشف فى نواحى جهات العسكر ، والناس على مراتبهم ومراكزهم ، ويكون صاحب الجيس فى وسط القلب .

---

(١) مكتوب فوق السطر فى ف .   (٢) « خيل » فى ف .

الفصل الثانى : فى حفظ خزائن الأموال والأثقال .

أما الخزائن فقالوا : ينبغى لصاحب العسكر أن يوكل بخزائنه رجلا ناصحاً أميناً ، ومعه جمع من الخيالة تسير بسير الخزائن ، وتنزل بنزولها ؛ تكون حولها فى السير والنزول لحفظها[٣] من طوارق العدو ، وصونها[٤] عن قرب أهل الخيانة . ويأمر[٥] عامة الجند والجيش بالتنحية عنها ، والمجانبة لها فى المسير والمنزل ، إلا من استخلصه لذلك ، وأهامه له . فإنه إذا لم يكن للخزائن من هو موكل بها من أهل الحفظ لها ، والذب عنها ، والقوة على من أراد نهبها ، ربما طرقها العدو أو أسرع الجند إليها ، وتداعوا[٦] نحوها حتى يكاد يترامى ذلك بهم إلى انتهاب العسكر ثوران[٧] الفتنة . فإن أهل الفتن ، وسيئى السيرة ، ومن همته الشرك كثير ، ومسارعتهم إلى الخير بعيدة .

---

(٣) « تحفظها » فى ى .

(٤) « تصونها » فى ى .

(٥) « تأمر » فى ى .

(٦) « تدعوا » فى ف .

(٧) « توران » فى النصين .

الباب الثالث عشر

فى بيان كيفية بيات العدو إذا لاحت فرصة

وفيه فصلان

الفصل الأول : فى بيان الوقت الذى يحسن أن يبيت فيه العدو وصفة الرجال الذين يصلحوا لذلك [١] .

أما الوقت الذى يحسن أن يبيت العدو فيه فينبغى أن يتحرى لذلك الليلة المظلمة وليلة الريح ؛ وإن كان ذلك عند حصول دوى [٢] أو خرير ماء لمنع حس الطارق الذى يطرق العدو فهو أحسن . ثم إن كان العدو الذى يريد بياته كثيراً دهمهم نصف الليل ليكون الوقت متسعاً لما يريده من البيات ، وإن كان قليلا اختار له وجه الصبح لقرب الأسفار [وظهورهم بطلوع الصبح] [٣] ، فيأخذهم العسكر . وقد مدح الله تع الخيل بالإغارة [فى الصبح] [٤] بقوله : " والعاديات صبحاً فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً " (١٠٠ : ١) .

وأما الرجال الذين يصلحون لذلك فقد ذكروا أن الذين يختارون للبيات صنفان : الصنف الأول أهل التجارب للحرب والثبات ، لأنهم الذين ينتفع بهم فى ذلك المقام ، لأنه لا ينتفع حينئذ [إلا بمن] [٥] علم منه الثبات والصبر

---

(١) فى هامش ى مكتوب « معنى التبييت » أن يأتى العدو فى وقت مبيته .

(٢) « ذوى » فى ى .

(٣) ما بين الحاصرتين « ظهورهم الصبح للعدو» فى ى .

(٤) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

(٥) ما بين الحاصرتين « إلامن » فى ف .

لمصادمة الأبطال فى مضيق الأوقات . والصنف الثانى من يكون مطيعاً لمن هو أعلم منه بذلك ، لأنه يصير كالآلة للعارف بالحرب ، فينتفع به كما ينتفع بالآت الحرب من سيف ورمح ونحوهما . ولكن لا بد مع[٦] الطاعة من وصف الشجاعة والصبر والجلد والتحمل لما ينوب ، وإلا فالجبان ضرره فى هذا الموضع أكثر[٧] من [نفعه] [٨] .

الفصل الثانى : فى كيفية البيات .

قد استحسن أهل الدربة بالحرب أنه إذا أراد بيات العدو ، وهجمت فرقة من العسكر قاصدة[٩] وسط العدو ، ويحيط الباقون بهم ، ثم تصيح الفرقة التى قصدت إلى وسط العدو ، فإنهم إذا صاحوا فى وسطهم على حين غفلة أخذتهم الدهشة والذعر ؛ فإذا طلبوا أطراف عسكرهم وجدوا باقى العسكر الذى بينهم قد أحاط بهم ، ويأخذ الذين هم خارج العسكر فى الرمى عليهم بالنشاب من الخارج ؛ فإن لذلك فى الليل والظلمة أثر عظيم فى المحاربة .

وإن استطاعوا أن يعقروا دواب عسكر[١٠] العدو ويجرحوها بالرماح بعد أن يقطعوا أرسانها وشكلها فعلوا ذلك ؛ فإنها إذا أطلقت من الشكل والأرسان وأصابها الحديد جالت فى العسكر لما نالها من الألم ، مع ما يحصل لها من هول الأصوات وإزعاجها .

مما يستحسن فى ذلك أن القوم الذين يبيتون العدو إذا خالطوهم لا يثبتون فى مكان واحد ، بل يكثرون الجولان فيه ؛ فإنه أشد إرعاباً وأعظم نكاية ، وأوهن للعدو . ومن اللازم أن يجعل لهم علامة فيما بينهم يتنادون بها[١١] مثل فرج الله أو نصر الله ، وما شاكل ذلك [ليمتازوا][١٢] [عن العدو بذلك][١٣] .

---

(٦) « من » فى ف .

(٧) « أكبر » فى ى .

(٨) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .

(٩) « طالبين » فى ف .

(١٠) ناقص فى ى .

(١١) ناقص فى ف .

(١٢) « فيمتازون » فى ى .

(١٣) ما بين الحاصرتين « بذلك عن العدو » فى ف .

الباب الرابع عشر

فى اختيار موضع المصاف للقتال وزمانه

وفيه فصلان

الفصل الأول : فى اختيار موضع المصاف .

قد استحسنوا [1] أن يكون موضع المصاف للقتال[2] بحيث يسند أهل العسكر ظهورهم فى مصاف القتال إلى جبل [أو نهر أو تل] [3] ، بحيث يأمنوا[4] هجوم العدو عليهم من ظهورهم ، وخروج الكمين من ورائهم [كما تقدم فى النزول فى الطريق][5] على ما تقدم بيانه فى الباب العاشر . فإن لم يتهيأ له شئ من ذلك احتفر الخنادق ، واستظهر بأكمان الكمائن من خلف عسكره ، لتخرج الكمائن على العدو إن قصد ظهر عسكره .

وعليه أن يحرص أن يكون موضع قلب العسكر على جبل أو شرف مرتفع صلب ليس فيه غبار ، وصاحب العسكر فى وسطهم ليشرف على العسكرين ، ويعاين ما يدبره فى أصحابه وعدوه من انتهاز فرصة ، وسد خلل ، وغير ذلك .

فإن لم يجد إلا منخفضاً[6] من الأرض لا يرى منه العسكرين[7] ، ولم يكن من اللقاء بد ، فعليه أن يخلف فى القلب نائباً من أهل الدربة فى الحرب

(١) « استحبو » فى ف . (٢) « فى القتال » فى ى .
(٣) ما بين الحاصرتين « أو نهر أو تل أو نهر » فى ف .
(٤) « يومن » فى ى . (٥) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(٦) « متحفظاً » فى ى . (٧) « العسكران » فى ى .

والثبات وحسن التدبير ، ويمضى فى حماية إلى الميمنة مما يلى جناح القلب . فإن وجد هناك مستشرفا أشرف منه ، وإن لم يجد هناك [مستشرفاً وطلبه][٨] فى ناحية الميسرة[٩] . فإن لم يجد وأمكن أن ينصب له فى القلب شئ يعلو عليه ليشرف منه على العسكرين فعل .

الفصل الثانى : فى اختيار وقت المصاف .

يجب على صاحب العسكر أن يجتهد أن يكون مصافه فى وقت يكون الشمس أو الريح[١٠] فيه من وراء ظهر عسكره . أما استدبار الشمس فلأنه إذا استقبلها وقع شعاعها على السلاح المصقول من السيوف والخوذ وغيرها، فيلحق شعاعها الأعين ، فتكل الأبصار عن النظر ، وربما أثر فى بعضها ذهاب البصر بالكلية. وأما استدبار الريح ليسلم مما يلقيه الريح فى العيون من التراب والرمل ، فإنه متى سفت الريح التراب والرمل فى الأعين دعى ذلك إلى إطباق الجفون مما يصيبها من ذلك . وقد نهى عن إطباق الجفون فى الحرب عند اللقاء ، ولو أنه يرى السلاح يكاد يدخل فى عينه ، لأن بإطباق الجفون يصير المقاتل كأنه أعمى ، والأعمى لا نفع له فى الحرب .

فإن لم يمكنه استدبار الريح جعل مجراها فى طرف ميمنة إلى ميسرة عدوه ، ليقع [اشتراك عسكر العدو][١١] مع عسكره فى ضررها ، فيناله مثل ما ينال أهل عسكره ، فإن يمكنه ذلك حرض على انحرافها ما استطاع ليأخذ العدو منها بنصيبه . فإن لم يمكنه ذلك ، وألح العدو فى طلب القتال فى ذلك الوقت ، أو تغيرت الريح وهو فى المصاف ، أما الفرسان بالنزول عن خيلهم وقتالهم رجالة متزاحمين كأنهم رجل واحد ؛ فإن إصابة الريح للفرسان أشد من إصابتها للرجالة لارتفاع الفارس عن الأرض وانخفاض الراجل بوقوفه عليها .

(٨) ما بين الحاصرتين «مستشرفا وجده وطلبه» فى ف .   (٩) « اليمين » فى ى .

(١٠) ما بين الحاصرتين « الريح والشمس » فى ى .

(١١) ما بين الحاصرتين « اشتراك العدو » فى ف .

الباب الخامس عشر

فى بيان إكمان الكمائن وتدبير أمورها

وفيه فصلان

الفصل الأول : فى ذكر صفة رجال الكمين وخيله والمكان الذى يكمنون فيه .

أما الرجالة فينبغى [أن يكونوا أشجع] [١] فرسان العسكر ، وأدربهم بالحرب ، وأعرفهم بالتجارب ؛ فإنهم ينفردون عن العسكر ، ويكونون فى مكان ليس لهم فيه من يعينهم ولا ينجدهم من أهل العسكر لبعدهم [عنهم. ويتعين][٢] مع ذلك أن يكون عليه مقدماً عارفاً بأمور الحروب[٣] ، درباً بمحاربها ، عالماً بأحوال الأماكن الصالحة للاختفاء ، ليكون ذلك أعون لحصول الغرض من أمر [٤] الكمين فى اختفائه حيث يجب الاختفاء، وظهوره حيث يقتضى الظهور .

وأما خيلهم فيتعين أن تكون ثابتة الحوافر ، سالمة الظهور ، عرية عن الحرن والجماع ، على ما تقدم فى خيل الطلائع ، وأن لا يكون فيها من الخلق ما يستدل به عليهم حال أكنانهم من الصهيل ونحوه . [وينبغى أن تكون][٥] خيولهم كلها ذكوراً أو كلها إناثاً ؛ فإن اجتماع ذكور الخيل وإناثها ربما أوجب إثارة جلبة من صهيل الخيل أو صياحها ، فيؤدى ذلك إلى العلم بالكمين ، وربما جر إلى حصول الضرر بجميع العسكر . وبالجملة فكل أمر يظهر به ما يروم صاحب الكمين ستره[٦] فإنه يتعين تركه .

---

(١) ما بين الحاصرتين « أن يكونوا من أشجع » فى ف .

(٢) ما بين الحاصرتين « عنه ويتعين » فى ف .

(٣) « الحرب » فى ى .

(٤) ناقص فى ف .

(٥) ما بين الحاصرتين « وسوا تكون » فى ى .

(٦) « سيره » فى ى .

وأما الموضع الذى يكمنون فيه فإنه يجب أن يكون خفياً مستتراً ، وأن يكون مما يحتمل الإقامة فيه إذا دعت الحاجة إلى طول الإقامة ، بأن يكون فيه الماء والمرعى وسائر ما يحتاج إليه أهل الكمين بحسب الإمكان .

الفصل الثانى : فى تدبير أمور الكمائن [٧] .

أول ما يتعين على أهل الكمين أنهم يقيمون لهم ديدبانا يطلع على أخبار العدو ومتجددات أمور العسكر ، ويعرفهم بذلك . ويجب أن يكون ذلك الديدبان ممن يوثق به ويتحقق نصيحته ؛ فإنه إذا كان بخلاف ذلك ربما [٨] مال إلى العدو ، فدل على الكمين ، فأخذوا [٩] بدلالته .

وعلى أهل الكمين أن يتجنبوا التعرض للصيد من الطير والوحش مما حولهم ؛ فإن ذلك مما يوجب نفار الطير والوحش ، وربما رأى أحد من أهل البصيرة بالحرب نفار الصيد فاستدل [١٠] به على أنه إنما نفر من منفر له ، فيتوصل بذلك [إلى العلم بالكمين] [١١] فيؤخذ .

ويتعين بأن يكون وقت ظهور الكمين فى حال غفلة العدو ، وبأن يكون ذلك غدوة النهار ؛ أو عند حط العدو عن دوابهم وإراحتها ، بأن يكون ذلك فى أخر ساعة فى أيام الصيف أو أبرد ساعة فى أيام الشتاء . وينبغى أن يكون خروجهم من الكمين على العدو كراديس كراديس متقطعة [١٢] من غير أن يبعد بعضهم من بعض ، وأن يسرعوا الرجعة إلى مكمنهم [١٣] إذا لم يظفروا بحاجتهم ، وإن حصل ملاقاتهم العدو [بصدورهم للقتال] [١٤] وأظهر كل واحد منهم ما عنده [١٥] من القوة والبسالة .

---

(٧) « الكمين » فى ف .
(٨) ناقص فى ى .
(٩) « فأخذ » فى ف .
(١٠) « فاستدلوا » فى ى .
(١١) ما بين الحاصرتين « إلى الكمين » فى ف .
(١٢) « متقطع » فى ى .
(١٣) « مكنتهم » فى ى .
(١٤) ما بين الحاصرتين « وصدقوهم القتال » فى ف .
(١٥) « لديه » فى ف .

الباب السادس عشر

فى بيان كيفية تعبئة العساكر عند المصاف للقتال

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : فيما إذا كان العدو المتصدى للحرب قليلا ، ويختلف ذلك باختلاف حاله فى القلة .

فإن كان المتصدى للحرب واحداً[1] واجه خصمه بالقتال ، ولا عمل له غير ذلك ؛ فإن اجتمع على واحد اثنان أخذ عنهما جانباً ، وأخذ [فى دفع كل منهما عنه] [2] وإن كان المتصدى للحرب ثلاثة نفر فيكون واحد منهم قلباً ، وواحد ميمنة ، وواحد ميسرة . ومنهم من ذهب إلى أنه إذا اجتمع ثلاثة لا يترتبون على هذا الوجه ، ولكن[3] يتحفظ كل رجل منهم ظهر صاحبه . وهو باب عظيم فى الحرب ، وعليه عمل كثير من أهل الدربة بالحروب .

وإن كان المتصدى للحرب تسعة نفر جعل القلب ثلاثة نفر ، والميسرة ثلاثة نفر ، والميمنة ثلاثة نفر .

وإن كان المتصدى للحرب اثنين جعل كل واحد منهم ظهره لظهر صاحبه إن تفرق العدو عليهما ، وإلا واجهاه إن كان من جهة واحدة .

وإن كان المتصدى للحرب أربعة ترتب[4] ثلاثة منهم قلباً وميمنة وميسرة

---

(١) « قليلا » فى ف .

(٢) ما بين الحاصرتين « فى كل منهما عن نفسه » فى ف .

(٣) « لاكن » فى ى .   (٤) « يرتب » فى ى .

على ما تقدم ، واعتزل واحد منهم ناحية إن لاحت له فرصة من العدو انتهزها ، وإن احتاج أصحابه إلى معاضدة عاضدهم ، وهو أنفع من اختلاطه بهم ، إلا أن يحملوا كردوساً واحداً فتكون الأربعة مجتمعين .

وإن كان العدو ستة ترتبوا على ما تقدم : فى القلب اثنين ، وفى الميمنة اثنين ، وفى الميسرة اثنين . وإن كان العدو ثمانية فالأحسن أن يترتب ستة على ما تقدم ، ويجعل الاثنان الباقيان كمينا ؛ لأن لخروج[٥] الكمين عند وقوع القتال بغتة روعة عظيمة .

وذهب بعض أهل الحرب إلى أن العدو المتصدى للحرب إذا كان قليلا فى [الجملة أنهم][٦] لا يترتبون ، وإنما يحملون على العدو كردوساً واحداً ؛ فإن الاجتماع أعون لهم . وبالجملة ، فالأمر فى ذلك راجع إلى اجتهاد المقاتل بحسب ما يقتضيه الحال .

الفصل الثانى : فيما إذا كان العدو المتصدى للحرب كثيراً .

وقد اصطلحوا على أنه إذا كان العدو كثيراً كالعسكر الكبير جعل العسكر خمسة أحياز : الحيز الأول فى مقدمة العسكر ، وهو الذى عليه العمدة ، فيجب أن يكون من فيه من الفرسان فى غاية القوة والشجاعة والاستظهار والدربة بالحرب ، فإنهم الذين فى نحر العدو ، وعليهم اعتماد من وراءهم من الأحياز .

وقد اصطلحوا على تقسيم المقدمة إلى ثلاثة أجزاء : القلب ، والميمنة والميسرة ؛ فالقلب هو الذى فى الوسط ، ويعنون[٧] به قلب العسكر ؛ والميمنة

---

(٥) « بخروج » فى ى .

(٦) ما بين الحاصرتين « الجملة إلى أنهم » فى ى .

(٧) « يريدون » فى ى .

ما على بين القلب ؛ والميسرة ما على يساره [ولكل من الثلاثة حكم يخصّه][٨] وقد يسمون الميمنة والميسرة المجنبتين ، وتسمى الميمنة والميسرة الجناحين[٩] ، فيقال جناح الميمنة ، وجناح الميسرة [وربما يسمى كل من الميمنة والميسرة جناحاً][١٠] .

وقد ينقسم كل من القلب والميمنة والميسرة إلى ثلاثة أجزاء على ما تقدم ، فيجعل للقلب قلب وميمنة وميسرة ، وللميمنة كذلك ، وللميسرة كذلك . ويجعل على كل جزء من هذه الأجزاء مقدما ، فتصير[١١] فى مقدمة العسكر تسعة مقدمين ، ليكون أقرب لتدبير أمرهم ؛ فإن كثرة المقدمين على الفرسان فى أجزاء العسكر مما يزيدها قوة ، ويديم ثبوتها ، لا سيما إذا كان مع كل مقدم جزء من الجيش . قالوا : ينبغى أن يجعل ما[١٢] بين جناحى القلب الميمنة الميسرة طريقاً ، ويوسع بينهما لتمر[١٣] فيه الخيل وأرباب المبارزة .

الحيز الثانى وراء الحيز الأول ، ويكون[١٤] فى الترتيب على ثلاثة أجزاء : قلب وميمنة وميسرة على نظير الصف الأول : القلب خلف القلب ، والميمنة خلف الميمنة ، والميسرة خلف الميسرة . وقد شرطوا فى هذا الحيز أن تكون[١٥] فيه مشاهير الفرسان من يكفى فى مثل ذلك ممن عرف بتدبير الحرب ، والقيام بمهماتها ، والصبر على وقائعها ، وصحة الرأى عند ورود المستصعبات[١٦] فيها .

الحيز الثالث وراء الحيز الثانى ، وهو الموضوع لحفظ الأثقال . وقد علم أنه لا مقام[١٧] للعسكر إلا بثقله ؛ فيجب أن يكون الثقل محفوفاً بمن [يخاف معرة الفرار أكثر مما][١٨] يخاف الموت [لأنه لا قوام للعسكر إلا بثقله][١٩] .

---

(٨) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

(٩) القسم الكامل فى ف . « ما على يساره ولكل من الثلاثة حكم يخصه ويسمى كل من طرف الميمنة والميسرة الجناحين » .

(١٠) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

(١١) « ليسير » فى ى .

(١٢) « فيما » فى ى .

(١٣) « يمر » فى ى .

(١٤) « تكون » فى ف .

(١٥) « يكون » فى ى .

(١٦) « المستصحبات » فى ى .

(١٧) « مكانة » فى ى .

(١٨) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

(١٩) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

الحيز الرابع وراء الحيز الثالث ، وحكمه أن يكون حافظاً من خلف الأثقال . وقد شرطوا فى هذا الحيز أن يكون فرسانه خفافاً أنجاداً من أهل التجارب فى المعارك .

الحيز الخامس وراء الحيز الرابع ، وهو الساقة . وقد شرطوا[فى هذا الحيز][٢٠] أن يكون فيه [ذوو] [٢١] النجدة والبأس ممن يوثق بكفايته مما[٢٢] يندب إليه . وعلى هذا الحيز والحيز الرابع حفظ مؤخر العسكر ، والاحتراز من الغارة على مؤخر العسكر حسب الاستطاعة ؛ فإن العدو يطمع فى أطراف العسكر .

الفصل الثالث : فى بيان أشكال الصفوف فى العدو الكثير .

وقد اختلفوا فى ذلك ، فذهب أكثر العارفين بأمور الحرب أن أحسن الصفوف الصف المستوى المنضم[٢٣] بعضه إلى بعض . ويذكر أن ذلك هو[٢٤] مصطلح الفرس قديماً . وقد[٢٥] مدح الله هذه الصفة فى كتابه العزيز ، فقال جلت قدرته : " إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص "(٤ — ٦١). وقد استحسن بعض من له دربة بالحرب أن يكون الصف خارجاً من جناحيه ، داخلا من صدره ، وهو أقوى لقلب الصف وأضعف لجناحيه ، [قد كان من][٢٦] يفعل ذلك يعد لكل طرف من الجناحين كردوساً من الخيل المقومة عوضاً عما هو داخل من[٢٧] صدره .

وكرهوا أن يكون الصف خارج الصدر ، داخل الجناحين ؛ فإن فيه

---

(٢٠) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٢١) « ذووا » فى ف .
(٢٢) « فيما » فى ى .
(٢٣) « المنتضم » فى ى.
(٢٤) ناقص فى ف .
(٢٥) ناقص فى ف .
(٢٦) « لذلك كان » فى ى .
(٢٧) « فى » فى ى .

ضعفاً للقلب ، وإن كان فيه قوة للجناحين . ولذلك كان من يصف صفة كذلك يجعل أهل البأس والنجدة ميمنة وميسرة ليكون أشد للقلب . والمغل من الترك معتادون أن يكون القوم كردوساً واحداً ليتدافعوا[٢٨] على العدو ، ويمتنع على كل واحد منهم الهزيمة والرجوع ، ولهم بذلك الدربة العظيمة التى ليست لغيرهم .

---

(٢٨) « ليتدفعو» فى ى .

الباب السابع عشر

فيما يجب فعله عند لقاء العدو وقتاله

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : فيما إذا زحف العسكر على العدو [قبل زحف العدو] [١] .

وإذا زحفت العساكر على العدو ابتدأ فينبغى أن يكون زحفهم[٢] عليه من مكان عال مرتفع عن الأرض ، ليكون العسكر أعلى [٣] من العدو ، ويكون زحفهم إليهم بالتثبت[٤] والتحفظ والتؤدة[٥] . ويكون أمام الخيالة من الرجالة من يدب عنها ويحمى الفرسان من رجاله العدو ؛ فإن رجالة العسكر متى هزموا رجالة العدو ربما تبعهم فرسان العسكر فى الانهزام . وإذا هزمت رجالة العدو رجعت على فرسانهم [٦] دعا ذلك خيلهم [٧] إلى الجفل ، وربما دام طلب رجالة العسكر لهم ، فيكون ذلك سبباً لكسر العدو وانهزامه .

وإن احتاج القلب إلى الزحف على العدو ، وسار أهله الهوينا قليلا قليلا ، بلا ركض ولا عجلة ، فإنه إذا حدثت[٨] عجلة فى الحركة إلى العدو ربما خطر لمن خلف الصف أنهم صاروا إلى العدو ليكونوا معه ، فانزعجوا لذلك وتأثروا له .

---

(١) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٢) « خروجهم » فى ف .
(٣) « أعلا » فى النصين .
(٤) « بالتثبيت » فى ى .
(٥) ناقص فى ى .
(٦) « فرسان العدو » فى ف .
(٧) ناقص فى ى .
(٨) « حدث » فى ى .

وإذا حملت طائفة من العسكر على العدو ، ثم اضطروا إلى الرجوع إلى مواقفهم ، فعليهم أن يتجنبوا قبح الرجعة والسرعة فيها ، لما فى ذلك من الدلالة على الخوف والهلع . بل يكون رجوعهم على أتم الهيئات والثبات فى الرجوع ؛ فإن سوء رجعته قد يؤدى إلى طمع العدو فيه ، فيتبعه العدو ، فتصير هزيمة .

وإن كان [الذى حمل على العدو وهم] (٩) أهل القلب بأجمعهم واحتاجوا إلى الرجوع رجعوا القهقرى إلى وراء ظهورهم انحرافاً وازورارا بالنظر ، وميل بعض المناكب والروس . وتكون (١٠) الصدور مواجهة لصدور العدو ، ولا تنحرف (١١) عنها حتى يصلوا إلى مواقفهم . وهم فى ذلك مظهرون للقوة ، داعين بالظفر وطلب الثبات والنصر ، بحيث يسمعون أصحابهم ذلك ؛ فإن ذلك مما (١٢) يشعر بحضور القلب وقوته فى مثل هذه الحالة التى تضعف (١٣) فيها القلوب . وإذا حمل أحد من القلب ، وانتهز الفرصة من العدو ثم رجع ، انعطف متياسراً إلى الميسرة ، أو إلى ما بين جناح القلب والميسرة .

وإن كان الذين (١٤) حملوا هم من أهل الميمنة رجعوا القهقرى إلى مواقفهم ، وإن حمل أحد منهم وانتهز فرصة ثم أراد الرجوع عطف متياسراً إلى القلب أو إلى ما بين (١٥) جناح القلب والميمنة ؛ فإن ذلك أسهل له فى رجوعه من أن يرجع إلى الميسرة وما يقرب منها .

وإن كان الذى حمل جميع الميسرة رجعوا القهقرى إلى مواقفهم كما تقدم فى الميمنة ، وإن حمل أحد من الميسرة ثم رجع عطف متياسراً ، فإن عطف الأيسر من الميسرة [بعد الحملة] (١٦) إلى نحو القلب أيسر منه إلى الأيمن .

---

(٩) ما بين الحاصرتين « الذى حمل العدو وهم أهل القلب » فى ف .
(١٠) « يكون » فى ى .
(١١) « ينحرف » فى ى .
(١٢) ناقص فى ف .
(١٣) « يضعف » فى ى .
(١٤) « الذى » فى ى .
(١٥) ناقص فى ف .
(١٦) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .

ومما ينبغى التنبيه إليه أن يعلم أن رجوع الفارس[١٧] بعد الحملة إلى موضعه الذى خرج منه أولى إن أمكنه ذلك ، ليكون فى مكانه[١٨] المقرر له . فإن لم يمكنه ذلك وقف على القرب منه ، ولا مشاحة[١٩] فى ذلك ، لأن القصد[٢٠] إنما هو قيامه فى صفه لا[٢١] ذلك المكان بعينه .

وينبغى للحامل على العدو أن لا يستغرق جهده فى جرى فرسه ، وأن لا يتبع خصمه إلى[٢٢] أكثر من الثلث مما بينه وبين العدو ، فيكون بينه وبين العسكر[٢٣] الثلث من المسافة ، وبينه وبين العدو[٢٤] الثلثان منها ؛ فإن فى الزيادة على ذلك تغرير ، « وما المغر بمحمود ولو سلما » .

ولا يأمن عند انهزام عدوه أمامه أن يكون ذلك لمكيدة من خروج كمين ونحوه ، اللهم إلا أن يظهر فشل العدو وخذلانه ؛ فيجب اتباعه ، لكنه لا يسرع فى الدخول فى عسكر العدو ، وإن ظهر فشله ، وتأخرت خيله ، حتى يتلاحق من عسكره أهل الشجاعة والصبر ، وتتزاحف[٢٥] فرسان الحرب .

وإن استطرد[٢٦] العدو فأرهجوا فلا تقع الحملة عليهم حتى يسكن الرهج ، ويتبين أمرهم حذرا من الكمين . وإذا ولى العدو وتحققت هزيمته فلا يتبعه كل العسكر ، بل يكون بعض العسكر خلفه [وبعض العسكر للغنيمة] [٢٧]. وبعضهم الحفظ ؛ فإن اتباعهم بالجمع مذموم .

وإن ثبت العدو بعد انهزامه تقدم صاحب اللواء قليلا ، وتحمل الخيل التى قد انتخبت لذلك وأعدت[٢٨] له . وينبغى فى هذه الحالة أن يسند[٢٩] العسكر

---

(١٧) « للفارس » فى ف .
(١٨) « مكان » فى ف .
(١٩) « مسامحة » فى ى .
(٢٠) « المقصود » فى ى .
(٢١) « لان » فى ف .
(٢٢) ناقص فى ى .
(٢٣) « العدو » فى ى .
(٢٤) « العسكر » فى ف .
(٢٥) « تزاحف » فى ى .
(٢٦) « استظهر » فى ى .
(٢٧) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(٢٨) « اعتدت » فى ى .
(٢٩) « يشد » فى ى .

فى وجوههم من كل ناحية ، ويتحرك صاحب الجيش مع البند الأعظم ، وتحميه الخيل كلها وتحدق به ؛ فإن فى ذلك روعة وإرهاباً للعدو ، لا سيما إذا ذاقوا حد الحديد . ومتى تأخر العدو حينئذ فهو ابتداء الظفر إنشاء الله تع .

وإذا بارز مبارز من العسكر فليكن موقفه على الثلث مما بين أصحابه وبين العدو ، وإن استطرد فإلى الثلثين ، ولا يجاوز ذلك .ومنهم من قال : لا يجاوز الثلث بينه وبين أصحابه بكل حال .

[الفصل الثانى][30] : [فيما إذا زحف العدو على العسكر قبل زحف العسكر] .[31]

قال أهل التجربة فى الحروب : إذا حمل العدو على العسكر قبل حملته أو استحكام ترتيبه وتعبئته ، فالطريق فى ذلك أن يجثو[32] أهل العسكر على الركب ، ويشرعوا الأسنة فى نحورهم ، ويتستروا بالدرق والطوارق ، ويكونوا صفاً واحداً متعاضدين ، إلى أن يندفع العدو أو يتهيأ الركوب واللقاء . قال أهل التجربة للحرب : وهى ساعة فيها[33] شدة على من لم يعتد مثلها .

وإن كانت حملة العدو على العسكر بعد استحكام تعبية العساكر ، فالطريق فى ذلك أن يتلقاهم رجالة العسكر ، ويشرعوا الأسنة فى نحورهم ، ويلزموا مواقفهم ، ويعضدهم[34] رماة العسكر بالرمى فى وجوههم ؛ فإن لم تقف الرجالة فى ذلك أجابت الخيل حينئذ .

ومن أنفع ما يعتمد فى هذه الحالة الصبر ؛ فإنه لا يثبت لذلك إلا أهل القوة [والبسالة ومن له عادة باللقاء . والحذر أن يتضعضع العسكر عند

---

(٣٠) ما بين الحاصرتين « الفصل الثالث » فى ف .
(٣١) ما بين الحاصرتين « فيما إذا زحف العسكر على العدو قبل زحف العسكر » فى ى .
(٣٢) « يجثوا » فى النصين .
(٣٣) ناقص فى ف .
(٣٤) « يقصدهم » فى ى .

أول حملة القوم](٣٥) فى أول وهلة ، فتنحرف الجبناء عن مواقفهم ، فيكون ذلك سبباً للكسرة . فإن اتفق أن يقع لهم ذلك فالطريق أن يومر بضبطهم ، يجعل معهم من رجال الحرب من يثبت معهم ليثبتوا بثبوتهم ، ويقووا ما خار من قلوبهم .

فإن قدر أن يولى أحد من أهل العسكر عند خوفه الحرب أو عند ألم الجراح فلا يعترضه أحد من أهل العسكر بالوقوف فى طريقه ، أو رده إلى الموقف من العسكر ، ولكن يرفق به ، ويؤخذ بالمداراة حتى يخرج إلى خلف(٣٦) الصفوف .

وإن كثر العدو على العسكر ، وعجزوا عن دفع صولته ، رجعوا إلى عسكرهم على حميتهم حتى يلموا أطرافهم ، ويعرضوا خيولهم ورجالهم ، ويتقوا بالسلاح ، ويبعثوا بطلب(٣٧) المدد والتعجيل به ؛ فإذا اجتمعت لهم أطرافهم ووفاهم مددهم استأنفوا الحرب بحسب ما يقتضيه الحال .

وإن زحف العدو إلى العسكر إلى خنادقهم استعدوا لهم بأتم حالة ، وحملوا عليه(٣٨) حملة واحدة ، ناظرين مواطئ أقدام العدو دون وجوههم ؛ فإن ثبت العدو لملاقاتهم حينئذ فليس لهم إلا النزول إليهم بالسيوف والدبابيس المحرقة والأطبار . ومتى أخذ العسكر من عرضة الحرب قدر رمح من العدو ، وتوالى ذلك ، فقد عده أهل التجربة من مبادئ الظفر .

وعلى أهل العسكر أن يلزموا مواقفهم مع إحكام الصفوف حيث قصدهم العدو ، ولا يتركوا إشراع الأسنة فى صدورهم ، والرمى عليهم من كل ناحية . وإن طاول العدو وصابر فلا يأخذ أهل العسكر ضجر(٣٩) ولا قلق ، فإن الألم مشترك

---

(٣٥) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٣٦) « حد » فى ف .
(٣٧) « يطلبو » فى ف .
(٣٨) « عليهم » فى ى .
(٣٩) « ظافر » فى ف .

بين الفريقين . وقد نبه الله تع على ذلك بقوله : " إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون "(٤ — ١٠٤) .

وإن دخلت ميمنة العدو إلى بقية[٤٠] العسكر فليس لأحد من أهل العسكر أن يخرج من العسكر ، إلا أن يكون واثقاً بأنه يدرك قرنه قبل رجوعه إلى موقفه ، لأن ضبطه مكانه ودفع عدوه [وهو فيه][٤١] أولى من الانصراف ، لأن المنفصل عن مكانه لا يدرى كيف يكون حاله إلا أن يعلم أن العدو الداخل عليه ليس بناج فيحسن طلبه حينئذ .

الفصل الثالث : فيما يجب من الاحتراز فى حال لقاء العدو .

قال أهل التجربة والدربة بالحروب : إذا [طرقت العسكر][٤٢] من ظهره خيل من خيل العدو [فى حال المصاف][٤٣] ، أو خرج عليهم كمين ، حينئذ فيجب على صاحب الجيش أن يقيم [خيلا يفردها][٤٤] لذلك لدفعه عن العسكر ؛ فإن لم يكن انتخب من الميسرة فرساناً تدفعهم[٤٥] فى نحورهم وتصدهم[٤٦] عن ذلك .

قالوا : ويجب على الخارجين لهم أن لا يرجعوا إلا بأذن صاحب الجيش ، وأن لا يجاوزوا الموضع الذى حده لهم لأنه أعلم بما يوجههم فيه ، وهو فى تلك الحالة كالطبيب للمريض .

---

(٤٠) « ميمنة » فى ى .

(٤١) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .

(٤٢) ما بين الحاصرتين « طرق العدو » فى ف .

(٤٣) ما بين الحاصرتين « من المصاف » فى ف .

(٤٤) « يفرد خيلا » فى ف .

(٤٥) « يدفعهم » فى ف .

(٤٦) « يصدهم » فى ف .

وإذا[٤٧] جن عليهم الليل ، ولم ينصرف القتال ، فينبغى لفرسان العسكر ورجالته أن لا يزولوا عن موقفهم حتى ينصرف عدوهم ، ثم ينصرفوا بعد ذلك بصفوفهم على تعبئتهم الأول فالأول . وفى هذه الحالة يجب الحذر من هجوم العدو ودخول جواسيسه .

فإذا دخل الناس إلى مواضعهم انصرف أرباب الخيل إلى مراكزهم ، وسدوا أبواب خنادقهم ، ودار العسس والقواد مع رؤساء الأجياد بالحرس حتى يصبحوا[٤٨] .

وإن صفت الصفوف وهجم الليل[٤٩] ولم يكن بد من المبيت فلينعطف [صف الميسرة][٥٠] على صدر القلب ، وينعطف[٥١] طرف الميمنة حتى يصل إلى الميسرة ، فيستدير العسكر ، ويكون الإثقال حينئذ فى الوسط قد أحاط بها الفرسان ، فإذا كان القلس الأكبر عادوا إلى مراكزهم .

وينبغى أن يدس إلى العدو من يأتى بخبرهم فى الليل ، وما حدث لهم فى حرب ذلك اليوم ، [وما أبرموه فى ليلهم][٥٢] ، ليعملوا فى نقضه بحسب ما يقتضيه الحال . ووقت ذهاب الجواسيس إلى العدو فى هذه الحالة عند اشتغالهم فى الرجوع إلى مواقفها[٥٣] .

وينبغى أن يكون فى جوانب العسكر من رجال اليقظة من ينظر فى وجوه الناس ويتأملهم ؛ فمن رآه مريباً أو تخيل فيه مخيلة قبض عليه واستعلم[٥٤] أمره ؛ فإن المريب يظهر حاله من وجهه ، ويعرفه أهل النباهة والفراسة . وإذا أنكر حال شخص وأقدم على قبضه فليحذر منه حينئذ ، فإنه ربما غلب على ظنه أنه يقتل فيبادر إلى قتل الذى قبض عليه لينجو بنفسه ، أو يأخذ بثأر نفسه

---

(٤٧) « وإن » فى ف .
(٤٨) « تصبحوا » فى ف .
(٤٩) « العدو » فى ف .
(٥٠) ما بين الحاصرتين « صف طرف الميمنة » فى ى .
(٥١) « يعطف » فى ف .
(٥٢) ما بين الحاصرتين « وما أبدعوه فى حربهم ليلهم » فى ف .
(٥٣) « مواضعهم » فى ى .
(٥٤) « استعمله » فى ى .

قبل قتله . وكذلك يجب حفظ المستأمنين والأسراء وإيثاقهم بعد التوفية بما وقع لهم من الالتزام .

واعلم أن أحوال الحرب لا تجرى على نظام واحد ، بل تختلف أحوالها وتتغير ، وربما دبر صاحب الجيش أو بعض قواده[٥٥] أمراً فأتى الحال بخلافه ، فيعمل حينئذ بما يقتضيه رأيه ، ويؤدى إليه اجتهاده .

وقد حكى أن أفروطة من مراكب الفرنج قصدت مدينة سبتة[٥٦] من بلاد المغرب ، فخرجت المقاتلة ، وجرى بينهم مصاف عظيم كانت النصرة فيه آخراً للمسلمين . [فرفعت النصارى][٥٧] قلاع مراكبهم وأقلعت ، فتأخر مركب كبير لعسر حركته ، فاجتمع رماة المسلمين عليه ، فستروا عليه بالدرق والطوارق ، فصاح شيخ من مشايخ المسلمين على الرماة : عليكم بحبل النصارى [فارموا عليه ، فرموا عليه فاشتبك النشاب فيه][٥٨] فتعذر جريانه فى البكر لاشتباك السهام فيه ، فأدركه المسلمون فأخذوه .

(٥٥) « المقاتلة » فى ى . (٥٦) « سكنة » فى ف .

(٥٧) ما بين الحاصرتين « فرفعت للمسلمين فرفعت النصارى » فى ف .

(٥٨) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

الباب الثامن عشر

فيما يجب فعله عند انهزام العدو

وفيه فصلان

الفصل الأول : فيما يتعلق بتمام أمر الحرب عند انهزام العدو .

قال المدبرون لأمر الحرب : إذا تحققت هزيمة العدو توليته فيجب حينئذ اتباعهم ، فركوب أقفيتهم ، والأخذ فى أمرهم بالجد والاجتهاد قبل التيام صفوفهم ، والتحاق متفرق خيلهم ، مع الحذر من الكمين والتيقظ له ؛ فإنه ربما كانت الهزيمة من العدو خدعة ومكيدة كما تقدم ، والهزيمة الصحيحة لا تكاد تخفى على متيقظ ، وربما خفيت عليه لنفاد القدر .

وإذا استحكمت الهزيمة فينبغي أن تختص الميمنة والميسرة بطلب العدو . ويكون صاحب الجيش فى القلب شاهر الألوية وأعلامه يسير[1] على رسله قليلا قليلا ، فإذا انتهى إلى الموضع الذى يستحق الوقوف فيه وقف من معه من القلب ، وتبقى الميمنة والميسرة فى الطلب للعدو بحيث أنهم لم يغيبوا عن بصر صاحب الجيش . وإن استرسلت الخيل فى طلبهم فينبغي أن تحمل الرجالة على العدو ، وليشغلوا رجاله العدو عن التعرض للخيل إن رأى صاحب الجيش ذلك . وإن خيفت كثرة العدو بعد انهزامه أمر صاحب القلب أهل الميمنة والميسرة أن يزحفوا إليه من غير أن يولوا ظهورهم ، بل يكون رجوعهم انحرافاً وأزوراراً وصدورهم فى وجه العدو ، كما تقدم .

---

(١) « تسير » فى ى .

ويجب التنبيه عليه أن المنهزمين من العدو لا ينبغي أن يستقبلهم أحد من العسكر فى وجوههم ، وأن لا يردوا عن طريقهم ، وأن لا يصدوا عن الماء إذا طلبوه ؛ فإن المنهزم إذا غلب على ظنه الهلاك حمل بكليته وقاتل القتال الشديد طلباً لسلامة نفسه . وإنما ينبغي أن يفرج عنهم ، ثم يستدار بهم ليؤخذوا من الجوانب . وبالجملة فالوقوف فى طريق المنهزم غير موافق .

الفصل الثانى : فيما يتعلق بأمر الغنيمة ه

ومما يجب تقدمه[٢] على ذلك أنه إذا وقعت الهزيمة على العدو أن لا يتشاغل[٣] أهل العسكر عن أمر القتال بالغنيمة والنهب ؛ فإن الهزيمة إن كانت حقيقة فالغنيمة لا تفوت ، وإن كانت خديعة من العدو فربما جرت إلى فساد يلحق [٤] العسكر عقب ذلك .وقد وقع مثل ذلك فى غزوة أحد للصحابة رضى الله عنهم أجمعين [٥] فعاتبهم الله على ذلك ، وذلك أن النبي صلعم أمر بعض الرماة بحفظ مكان عينه لهم ، فلما وقعت الهزيمة على المشركين فسارع أولئك الرماة الذين أمرهم النبي صلعم بحفظ ذلك المكان إلى الغنيمة فعرض للمسلمين بسبب ذلك مشقة كبيرة ، وأنزل الله تع فى ذلك : " من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة "(٣ — ١٥٢) .

وقسمة الغنيمة مذكورة [٦] فى كتب الفقه ، والذى يتعلق بهذا الموضوع منها أن مذهب الشافعي — رضى الله عنه — أنه يقسم للراجل سهم ، وللفارس ثلاثة أسهم ، فيكون الفرس فى ذلك بسهمين ؛ ومذهب أبى حنيفة — رضى الله عنه — أن للراجل سهم ، وللفارس سهمان ، فتكون[٧] الفرس بسهم واحد . ولا حاجة إلى استيعاب الأحكام [فى ذلك هنا] [٨] .

(٢) « تقديمه » فى ى .
(٣) « يشتغل » فى ى .
(٤) « يلحقه » فى ف .
(٥) ناقص فى ى .
(٦) « مذكور » فى ف .
(٧) « فيكون » فى ى .
(٨) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

الباب التاسع عشر

فى بيان ممارسة فتح الحصون وكيفية التوصل إلى ذلك

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : فى ذكر أنواع الحصون وما يحتاج إليه كل منها فى الفتح من العلاج [1] .

اعلم أن الحصون فى اللغة تطلق على كل ما يتحصن به المتحصن من القلاع ، والمدن المسورة ، والجبال ، والخنادق ، والمغاير ، والمطامير المحفورة ، وغياض[2] الشجر ، وآجام القصب ، والبحار ، والرمال ، وغير ذلك . ولكل منها حكم يخصه[3] فى المحاصرة والفتح . وقد يجتمع فى الحصن الواحد عدة من الأصناف المذكورة[4] مثل أن يكون قلعة على جبل فى داخل مدينة مسورة ، وعلى ذلك خنادق دائرة ، وفى الحصن مطامير محفورة للاختفاء ونحو ذلك ، فيحتاج كل صنف من ذلك إلى علاج يخصه فى العمل والتدبير بحسب ما يقتضيه الحال .

فمنها ما يحتاج إلى المطاولة والمصابرة وبناء الحصون عليه ، وإقامة المدة الطويلة كالمدن الحصينة والقلاع المشحونة بالأزواد وآلات الحرب . ومنها ما يكتفى فيه بأدنى الحيلة والأيام القليلة . وبين هذين القدرين ضروب مختلفة الأحوال ، يحتاج فى كل واحد منها إلى آلات مخصوصة ، وتدبير مناسب فى الحصار والمحاربة .

---

(١) « القلاع » فى ى .

(٢) « غياظ » فى ف .

(٣) ناقص فى ى .

(٤) « مشهورة » فى ف .

الفصل الثانى : فى بيان الطريق السهل لفتح الحصون .

قال أهل التجربة فى ذلك : من أنفع الأعمال فى فتح الحصون على اختلافها أن يأتيها صاحب الجيش على حين غفلة من أهلها ، وإن وافق أن يكون ذلك والأبواب مفتوحة فهو الغاية فى النجاح . وقد وقع ذلك للملك الظاهر بيبرس البندقدارى — رحمه الله تع — فى مدينة أنطاكية من عمل حلب ، فكان فتحها من أيسر الفتوح على ما هى عليه من الحصانة .

وإن لم يتهيأ ذلك فإن أمكنت الحيلة فى استسلام من فى الحصن ودخولهم فى الطاعة ، أو استمالة من أمكن منهم ليكون عوناً على الباقين قبل المناهضة ، كان أولى . وإن لم يجد[٥] من يوصل الخبر إليهم كتب الكتب بما فيه إثارة الفتنة[٦] بينهم مثل أن يظهر أن بعض الحصن معه ، ويجعل ذلك فى سهم ، ويرمى به إلى الحصن ، ونحو ذلك .

وعليه أن يظهر لأهل الحصن العدل والوفاء ودوام الإحسان ، ومراعاة النازلين إليه والاعتناء بهم ؛ فإنه إذا[٧] اشتهر ذلك عنه وتحقق منه كان أسرع لانقيادهم له ، وأدعى لدخولهم فى طاعته . وإن طلبوا الأمان بذله لهم .

وإن خرج إليه منهم مستأمناً أولاه من البر ما يستطيعه مع[٨] الحذر منه من غير إشعار له بذلك . وإن وصل إليه أحد من أهل الجرايم طمنه[٩] ووعده كل خير ، وإن استطاع استجلاب أخصاء صاحب الحصن ليرجعوا عنه أو يكفوا مؤنته كان ذلك من أوفق[١٠] أمور الفتح وأهمها .

---

(٥) « تجد » فى النصين .
(٦) « الفتن » فى ى .
(٧) ناقص فى ف .
(٨) « من » فى ى .
(٩) ناقص فى ف .
(١٠) « أرفق » فى ف .

وإن لم يتأت طاعتهم وانقيادهم فإن أمكنت حيلة يتحيل بها على خروج أهل الحصن للقتال ، مثل أن يطمعهم فى الظفر به أو يولى به عنهم أو يظهر أنه راحل عنهم ليخرجوا فى تبع العسكر ؛ فإذا خرجوا راوغهم ودخل الحصن بغتة ، كان أعون على المقصود .

الفصل الثالث : فى كيفية الحصار .

قال أهل الدربة بالحصار : أول ما يبدأ به[١١] من عمل الحصار أن يحصر أهله من أول نزوله عليهم حصراً لا يقدرون معه على أن يخرج منهم أحد ، ولا يدخل إليهم أحد[١٢] لا يسمعون له كلاما ، ولا ينظرون له إشارة ، ولا تبلغ[١٣] إليهم رمية سهم . فإنه ربما بلغهم أحد أخبار العسكر مشافهة إن كانوا يسمعون كلامه ، أو يشير إليهم إشارة فى ذلك يفهمونها[١٤] ، أو يكتب كتاباً ويجعله فى سهم ويرمى به إليهم فيأخذون حذرهم .

وعليه أن يحترز من رسلهم ، ولا يدع أحدا[١٥] من عسكره يدنو منهم إلا العلماء بتصاريف الكلام[١٦] ومصادره وموارده ممن يثق به ، ويحذر أن يظفر أحد منهم بلفظة فما فوقها ، فرب كلمة فتحت باباً مغلقاً من الشر .

ويجب أن يكون رسوله إليهم ممن[١٧] يوثق بنصيحته وديانته ووفائه وصحة تدبيره .

وعليه أن يعرف أحوال الحصن والمواضع الصعبة والسهلة والممتنعة[١٨] والممكنة فى العمل ، ومواضع المخايض[١٩] والمغاير والجسور والقناطر التى يعبر منها إلى

---

(١١) ناقص فى ف .
(١٢) ناقص فى ف .
(١٣) « يبلغ » فى ف .
(١٤) « يفهمونه » فى ى .
(١٥) « أحد » فى ى .
(١٦) « للكلام » فى ى .
(١٧) « من » فى ى .
(١٨) « الممتنع » فى ى .
(١٩) « المخارص » فى ف .

ما يختار من أماكن الحصن ، ومواضع النقوب والتعليق ونصب السلالم والكلاليب [وكذلك نسب][٢٠] المنجانيق والحجارة المناسبة لها ، ومواضع رمى النشاب والمقاليع والنفط ، وكيفية استعمال ذلك والعمل به ، بعد أن يضع من ينصبه لقتال[٢١] الحصن فى مكان لاسبيل للعدو عليه . ويفعل من[٢٢] ذلك الأنسب بالأنسب.[٢٣]

وعليه أن يعد من أصناف المقاتلة والصناع كل ما يحتاج إليه من الحديد والخشب ونحوها ، وصانع[٢٤] كل آلة تتعلق بالحرب ، ويأخذ الصناع بعمل الآلات والسلاح ، ولا يهمل ذلك ولا يؤخره ، ويظهر عمل ذلك لأهل الحصن ولا يخفيه ؛ فإن فى ذلك إرهاباً لهم ، وتخويفاً وإضعافاً لقلوبهم .

ويعجل بنصب المنجانيق والرمى بها ؛ فإن لها على أهل الحصون روعة. ومهما أمكنه انتهاز الفرصة انتهزها وبادر إليها ، ولا يؤخر ذلك لمراجعة أهل الحصن ؛ فإن فى التأخير راحة لهم ، وأخذ الأهبة ، وإدارة الرأى بينهم ، وذلك من أجل مقاصد العدو وما فيه مصلحته ، ولكل شئ وقت متى تعداه أفسده بمقدار التعدى .

وإذا وقع الحصار فلا يرفع عنهم رمى المنجانيق ، ولا يفتر عنها ساعة واحدة من ليل أو نهار ؛ فإن كف القتال عنهم [مما يرد روعتهم][٢٥] ويقوى قلوبهم .

وإذا وقع القتال بالسلاح ينبغى أن يقاتلوا بالأيسر منه فالأيسر ، ويؤخر العظيم المهول[٢٦] من الآلات إلى آخر ما يقاتلون به ليظهر لهم كل قليل ما هو أقوى من الآخر ، إلى أن تدعو الضرورة إلى الابتداء بالأقوى فيبدأ به .

---

(٢٠) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .

(٢١) « قتال » فى ى .

(٢٢) « فى » فى ى .

(٢٣) « فالأنسب » فى ف .

(٢٤) « جميع » فى ى .

(٢٥) ما بين الحاصرتين « مما يروع بروعهم » فى ى .

(٢٦) « المهول » فى ى .

وإن مال[٢٧] أهل الحصن إلى المناجزة فى القتال عاكسهم فى مرادهم ، وأخذهم بالمطاولة ، لأنهم لم يميلوا إلى المناجزة إلا وقد أخذهم الضجر . وإن مالوا إلى المطاولة أخذهم بالمناجزة ، على أن المطاولة فى الحرب هى رأس المكيدة ، وهو الذى يقتضيه الحزم . وبالجملة فمبنى[٢٨] الحرب على مخالفة غرض العدو .

ومن محاسن المحاصرة أن يطوف صاحب الجيش أو من يستنهضه من عسكره فى كل يوم أو يومين بالحصن ، ويظهر لأهل[٢٩] الاجتهاد فى أمر فتحه والعمل فى أخذه ، فإن فى[٣٠] ذلك إرهاباً لهم .

ومما ينبغى أن ينبه[٣١] له أن المحاصر للعدو هو محصور أيضاً[٣٢] [فى المعنى][٣٣] لأنه لا يأمن خروجهم عليه ومناجزتهم له متى أمكنهم الفرصة فى ليل أو نهار ، لأنهم يرومون الظفر كما يرومه المحاصر لهم . فينبغى أن يحترز على نفسه ومن معه من العسكر ما أمكنه ، ويتخذ الخنادق إن احتاج إليها وأمكنه عملهم ، فإن ذلك من أشد الحزم والاستظهار .

وأن يجعل على قدر رمية سهم من باب الحصن فرساناً مرابطة له ، منتظرين من يخرج منه ليكونوا بمنزلة الطلائع للعسكر ؛ فإذا رأوا أحداً خرج من الحصن بادروا بالإعلام به ليلاقيه[٣٤] العسكر أو من يقاومه منهم .

وإذا ظفر المحاصر للحصن به واستولى ، فقد اختلفت مقاصد الملوك فى ذلك ؛ فمنهم من يرى بهدمه[٣٥] الحصن وتخريبه حتى لا يكون ملجأ لمن يتحصن به [من العدو مرة أخرى][٣٦] . ولذلك هدم ملوك الترك مدن سواحل الشام من

---

(٢٧) « قال » فى ى .
(٢٨) « فنى » فى ف .
(٢٩) « لأهله » فى ى .
(٣٠) ناقص فى ى .
(٣١) « ينتبه » فى ى .
(٣٢) ناقص فى ف .
(٣٣) ما بين الحاصرتين ناقص فى ى .
(٣٤) « لملاقاته » فى ى .
(٣٥) « يهدم » فى ى .
(٣٦) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .

صور وعكا وعسقلان وغيرها من المدن العظام خشية أن يملكها الفرنج فتتحصن [٣٧] به . وهذه كانت طريقة ملوك التتر [٣٨] من هولاكو وغازان [٣٩] فمن بعدهم ؛ فقد خربوا [٤٠] كثيراً من المدن والحصون ، منها ما أعيدت عمارته ، ومنها ما بقى على ذلك . ومن الملوك من لا يرى تخريب الحصون لأن المقصود عمارة الأرض لا خرابها ، وقد يملك الملك ما خربه من الحصون فيحتاج إلى عمارته ثانياً ، فيقع ذلك فى غاية المشقة والكلفة .

---

(٣٧) « فيها » فى ى .

(٣٨) « الترك والتتر » فى ف .

(٣٩) ناقص فى ى .

(٤٠) « خرب » فى ى .

الباب العشرون

فى بيان كيفية المدافعة عن الحصون وحفظها

وفيه فصلان

الفصل الأول : فيما يجب على صاحب الحصن من الاعتداد لحرب العدو قبل طروق الحصن .

قال أهل التجربة والبحث عن هذا الشأن : أول ما يحتاج إليه صاحب الحصن فى حال أمنه قبل أن يفاجئه العدو أن يكون قد حصن حصنه وأحكم مواضع المقاتلة ، وأن يكون مشحوناً بالرجال وبكل آلة وعدة تعين على طول الحصار وتنكر [1] فى العدو وعند المناهضة ؛ فإن فى ظهور الاستعداد بذلك ما يعلم به العدو النازل على الحصن أن صاحبه متيقظ لمن ورد عليه مستعداً له ، فيكون سبباً لإحجامه ورجوعه عنه .

ومن شأن الحازم أنه [2] لا يزال متوقعاً للعدو فى كل وقت ؛ فإن قصده العدو وجده مستعداً . وعليه أن لا يقصر فى شئ من أمور مدافعة العدو فى وقت من الأوقات قبل الحصار ، ولا فى شئ من عمله وتدبيره إلا أن يكون عليه فى ذلك وهن أو خلل . فإن من أضاع شيئاً فى وقته أو أخره عنه فليس الملوم سواه .

ومما يزيل طمع الطالب ما يراه من دوام الاحتراز . ومن أجل ما يستعان

---

(١) « ينكل » فى ف . (٢) « أن » فى ف .

به الحصار وجود الماء والمأكل وما ينتفع به المحاصر مما لا بد منه ؛ فإن وجود ذلك مما يحتمل المطاولة التي قد يضجر العدو منها فيكون سبباً لانصرافه .

الفصل الثاني : فيما يجب على صاحب الحصن فعله حالة[٣] الحصار .

قد قالوا إنه أول ما [ينبغي أن][٤] يبدأ به المحصور هو حض[٥] أصحابه على الثبات وإعلامهم [بجميع عواقب][٦] الصبر ، وتحذيرهم من العدو وما يلقونه منه إن ظفر بهم ، والوعد بكل خير عند نصرتهم وانصراف العدو عنهم ، مع سلامة أنفسهم وأموالهم ، إلى غير ذلك مما تسكن إليه نفوسهم ، ويفسح مالهم .

وعليه أن يعرف منتهى سلاح عدوه ومدى نكايته ، ليكون عمله على قدر ذلك ؛ لأن من علم غاية ما عند خصمه بنى[٧] أمره على يقين ما علم . وعليه أن يستعمل من الآلات ما فيه إفساد لعمل الخصم ، ودفع عن الحصن ، وإبطال لآلات العدو . وأن لا يستعمل من السلاح ولا يرمى إلا بما يوثق[٨] بنكايته ، لأن السلاح إذا خرج عن صاحبه ، ولم يقع نكاية به في عدوه ، فقد عدمه الرامى به من غير نفع مع شدة الاحتياج إليه ، وربما ظفر به العدو فصيره عدة له على من رمى به أولا .

وعليه أن لا يناهض عدوه ولا يناجزه للقتال[٩] إلا عند الضرورة والحاجة[١٠] إلى الدفع عن نفسه ، ولا يقاتل ما وجد إلى الحيلة والخديعة سبيلا ، وعليه بالمطاولة والمدافعة . وإن دام الحصار يغتنم[١١] اليوم والساعة واللحظة لتتهيأ له الحيلة ،

---

(٣) « حال » فى ى .
(٤) ما بين الحاصرتين ناقص فى ف .
(٥) « حظ » فى ف .
(٦) ما بين الحاصرتين « بجميل قوايد » فى ى .
(٧) « بنا » فى ف .
(٨) « يليق » فى ى .
(٩) « بالقتال » فى ى .
(١٠) ناقص فى ى .
(١١) « يقيم » فى ى .

وينتظر حوادث الزمان وما يقع من الفرج . وقد أخبر الصادق المصدوق صلعم[١٢] أن النصر مع الصبر . وبالجملة فإنه يجب عليه أن يملك قلوب الرعية بالعدل والإحسان ؛ فإنه ليس غاية مراد الرعية إلا ذلك . ومن عانى[١٣] العدل والإحسان كانت رعيته من أنصح الجند له لطمأنينة قلوبهم إليه ، وربما ضبطوا مكانهم[١٤] إذا غاب عنهم جند الملك إلى حين حضور من يثق به الملك من المندوبين لذلك. والله أعلم .

(١٢) « المصدق » فى ى .
(١٣) « عان » فى ف .
(١٤) « مكانه » فى ى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على

سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

وبعد فهذا كتاب يسمى تفريج الكروب

في تدبير الحروب مرتبا على عشرين بابا في كل باب منها

ثلاث فصول في تدبير الحروب ومعرفة احوال القتال

وتقريرها تأليف العبد الفقير الى الله عمر بن ابراهيم

الاوسي الانصاري رحمه الله الباب الاول

في التحرز في حال الامن عند اقامة الملك في دار مملكته وفيه

ثلاث فصول الفصل الاول في الحذر

والحزم قال العلماء بامور الحرب وتدبيرها

ينبغي ان يكون الملك في حال الامن وهو مقيم بدار مملكته

في غاية من الحذر والتحرز من العدو وقد امر الله بالحذر

فقال

The opening folio of the Princeton Manuscript (Yahudah collection ELS 3954), containing title and author of work.

الصفحة الأولى من مخطوطة جامعة برينستون (مجموعة يهودا رقم ELS 3954) ، وتشتمل على عنوان الكتاب واسم المؤلف .

مع تملك الاحتياج اليه وربما ظفر به العدو فحصل على اله

عادض رضى به اولا وعلم ان لا ينهض عدوه ولا يناجزهم بالقتال

الا عند الضرورة الى الدفع عن نفسه ولا يقابل ما وصل الى الحيل

بحيل وان يجد سبيلا وعليه بالمحاوله والمدافعه

وان دام الكفار ويقيم اليوم وساعه والحظ لتهيا له

الحيل وينتظر حوادث الزمان وما يقع من الفرج وقد

اخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ان النصر مع الصبر

وبالحلم فانه يجب عليه ان يملك قلوب الرعيه بالود والا

حسان فانه ليس غايته مراد الرعيه الا ذلك ومن عامل بالعدل

والاحسان كانت رعيته من انفع الجند له لطاعة

قلوبهم اليه وربما ضبطوا امكانه اذا غاب عنهم جند الملك

الرصد حفظوا من يثق به الملك من البلدان لذلك والله اعلم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

The colophon of the Princeton Manuscript of *Tafrīj al-kurūb* (Yahudah Collection ELS 3954) dated 25th of Muharram 924 (7th February 1518).

الصفحة الأخيرة من مخطوطة جامعة برينستون ، بتاريخ ٢٥ من المحرم عام ٩٢٤ هجرية (٧ من فبراير ١٥١٨ ميلادية) .

المحتوى	الصفحة
الباب 1 : في التحرّز في حال الأمن عند إقامة الملك في دار ملكه	9
الباب 2 : في العيون والجواسيس وما يتعلق بذلك	17
الباب 3 : في الرسل وما يتعين أن يكونوا عليه من الصفات وما يستحق من خرج منهم عن جادة الطريق	21
الباب 4 : في الخديعة والحيل المغنية عن الحرب	27
الباب 5 : في الاستشارة في أمر الحرب	35
الباب 6 : في صفة مقدم الجيش وجنده وما ينبغي أن يأخذهم به	41
الباب 7 : في بيان متى يجب ملاقاة العدو وقتاله	47
الباب 8 : في الطلائع وترتيب أمورها وما يعتمد في ذلك	51
الباب 9 : في بيان ما يجب التحرز عند الرحيل وبيان ما يجب فعله في حالة المسير	55
الباب 10 : في بيان ما يجب التحرز عند النزول والإقامة في المنزلة	59
الباب 11 :في بيان متى يجب تعبئة العساكر وترتيبها ، وما يجب من التعبئة حينئذ	63
الباب 12 :في بيان كيفية التعبئة عند الخوف في المسير وحفظ خزائن الأموال	65
الباب 13 : في بيان كيفية بيات العدو وصفة الرجال الذين يصلحوا لذلك	67
الباب 14 : في اختيار موضع المصاف للقتال وزمانه	69
الباب 15 : في بيان إكمال الكمائن وتدبير أمورها	71
الباب 16 : في بيان كيفية تعبئة العساكر عند المصاف للقتال	73
الباب 17 : فيما يجب فعله عند لقاء العدو وقتاله	79
الباب 18 : فيما يجب فعله عند انهزام العدو	87
الباب 19 : في بيان ممارسة فتح الحصون وكيفية التوصل إلى ذلك	89
الباب 20 : في بيان كيفية المدافعة عن الحصون وحفظها	95
صور مخطوطات الكتاب	99

| تنويه : تم اضافة فهرس المحتويات للكتاب لعدم وجوده في الكتاب الأصلي . م. سرمد حاتم شكر السامرائي | |

